الحلة في عهد داود باشا١٨١٧-١٨٣١

دراسة تاريخية

د.كريم مطر حمزة

كلية التربية/ جامعة بابل

المقدمة

من أجل أن نعرف التاريخ العام لبلد ما بصورة تفصيلية، علينا أن ندرس تاريخ المدن بشمولية بدءاً بتطوراتها الاجتماعية ومن ثم الاقتصادية والسياسية ، لذا فتاريخ العراق لا يمكن قراءته بصورة دقيقة دون دراسة التطورات العامة في مدنه، ومن هذا المنطلق بدأت الدراسات الاكاديمية عن المدن العراقية.والحلة الفيحاء مدينة عراقية لها خصوصيتها في تاريخها وجغرافيتها وآدابها، وهي بذلك حلقة مكملة لحلقات المدن العراقية. ومن هذا الاتجاه كان علينا بوصفنا مؤرخين سبرغور تاريخ هذه المدينة في مختلف الحقب التاريخية التي مرت بها. ومنها العهد العثماني الذي لازالت الدراسات التاريخية عنه قليلة وبحاجة الى جهود الباحثين لكشف النقاب عن كثير من احداث التاريخ في الماضي.مدة حكم المماليك الكوله مند في العراق ١٧٤٩-١٨٣١ هي أحد عهود الحكم العثماني في العراق. ونحن بحاجة الى تسليط الضوء عليه بصورة دقيقة من خلال دراسة تاريخ المدن في ذلك العصر، ومنها تاريخ مدينة الحلة في عهد المماليك الذي استمر زهاء ثلاثة وثمانين عاماً، وهذا يصلح لدراسات اكاديمية متعددة. ومن خلال هذه الاهمية اخترنا مدة آخر والي مملوكي في العراق وهو داوود باشا ١٨١٧-١٨٣١ لتكون دراستنا عن الحلة ومناطقها في جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.تتكون الدراسة من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة ، تناول المبحث الاول الحياة العامة في الحلة في عهد المماليك قبل عام ١٨١٧، وهو يسلط الضوء على الحركات العشائرية المستمرة في مناطق الحلة ضد المماليك، واهمها حركات الخزاعل، زبيد، خفاجة واليسار، وكانت هذه الحركات المعارضة بسبب سلطة المماليك القاسية تجاه العشائر وخاصة فيما يتعلق بجباية الضرائب، وتناول المبحث ايضاً الهجمات السعودية على مناطق الحلة وموقف الحكومة والعشائر منها. فضلاً عن دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الحلة في تلك المدة وذكر الجوانب الصحية والتعليمية والعمران والزراعة والتجارة التي تهم الانسان الحلي، وهي معيار مهم للباحث للحكم على تقدم او تخلف المدينة.وتواصلاً مع المبحث الاول، اختص المبحث الثاني بالحركات العشائرية المعارضة لحكومة داود في الحلة، ويبدو واضحاً ان العشائر المعارضة في السنوات السابقة لحكم داود هي نفسها معارضة لداود، والسبب ، كما اشرنا سابقاً، هو سوء سلوك جيش المماليك عندما يمر بارض العشيرة فيدمر الزرع ويهدم المساكن ويخرب الانهر والترع، علاوة على ذلك السبب الاساسي في المعارضة وهو الضرائب الباهضة المفروضة على العشائر التي يجب دفعها للحكومة سنوياً. وكانت اهم العشائر المعارضة في الحلة ومناطقها زبيد والخزاعل واليسار والجبور. ومن المعروف ان موقف حكومة بغداد من هذه الحركات كان قاسياً وشديداً بحيث اضحت هذه العشائر ضعيفة وغير مستقرة وتحمل حقداً كبيراً تجاه المماليك.ومن اهم الحركات المعارضة لداود في الحلة هي حركة نائبة (كتخداه) محمد الكهية، التي اندلعت عام ١٨٢٤ وسيطر فيها على مدينة الحلة، واضبح الموقف في بغداد خطيراً مما حدا بداود الى بعث عدة حملات عسكرية لمقاتلته وانهاء حركته. ومن المهم ان نذكر هنا ان هذه الحركة لا يكتب لها النجاح دون دعم الحليين، فقد ساندوها وشاركوا في احداثها لتدلل عن مدى تذمر الحليين من الحكومة وسلوك موظفيها في الحلة. وقد استطاع داود بمساعدة بعض العشائر العربية كالعقيليين وأنسحاب آل جشعم من مساندة محمد الكهية، ان يقضي على هذه الحركة المعارضة الكبيرة، وان يستبيح الحلة ويشرد اهلها، مما ولّد تذمراً عاماً في المدينة ضد العقيليين الذين رابطوا في المدينة، وضد المماليك بصورة عامة. وللحركة تطورات اخرى مهمة في الحلة فصلت في ثنايا المبحث الثالث.وتطرق المبحث الرابع الى الحياة الاجتماعية في الحلة اثناء حكم داود مبيناً عادات سكانها وتقاليدهم، وطبيعة مساكنها، واهم قبائلها، ثم مناقشة الواقع الصحي المتردي في المدينة، والامراض التي اكتسحت المدينة كالهيضة (الكوليرا) التي حصدت آلاف الارواح منهم ولأكثر من موجة. كما كان للتعليم نصيب في هذا المبحث الذي كان تعليماً تقليدياً يعرف بالكتاتيب، وتعليم المساجد. فلا يوجد تعليم حديث في الحلة في ذلك الوقت وبصورة عامة كان المجتمع الحلي في عهد داود مجتمعاً محافظاً على تقاليده العربية والاسلامية.وللحياة الاقتصادية في الحلة ومناطقها نصيب من خلال المبحث الخامس اذ كانت المدينة تعيش حياة اقتصادية جيدة بسبب التجارة التي كانت نشطة، فالحلة تقع على نهر الفرات وهو الممر الرئيس للتجارة بين

البصرة وبغداد في ذلك الوقت، وبذلك ازدهرت التجارة فيها. كما تناول الحياة الريفية الزراعية وتطورها واهم معوقاتها التي كان من اهمها انخفاض منسوب المياه في الفرات بسبب انحدار المياه الى شط الهندية.

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر المهمة ولاسيما التي كان مؤلفوها معاصرين للاحداث او قريبيين منها، ويأتي في مقدمتهم عثمان بن سند الوائلي البصري مؤلف كتاب (مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود). ففي هذا الكتاب معلومات جيدة عن أهم الاحداث العراقية في عهد داود باشا، وتفصيلها وخاصة الحركات العسكرية ضد العشائر، لكن من المآخذ التي تحسب عليه انه غير حيادي في ذكر الاحداث، فهو دائماً مع داود وحكومته، ولا نستغرب ذلك الانحياز، فابن سند موظف في الجهاز الحكومي لداود، الذي أمره بتأليف الكتاب. لذا تعاملنا مع هذا الكتاب بدقة رغم أهميته. كما يعد كتابا المؤرخ سليمان فائق بك (تاريخ بغداد) و(تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد) من الكتب المهمة المستخدمة في الدراسة اذ أحتويا معلومات لا غنى للباحث عنها، فكاتبها موضوعي في ذكر الاحداث ، كما انه عاش قريباً من الاحداث.ويأتي كتاب (دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء) لمؤلفه رسول حاوي الكركوكلي بأهمية كبيرة لتفصيله الاحداث العراقية التي جرت في عهد داود، ومنها الاحداث التي وقعت في الحلة. وتزداد اهمية الكتاب عندما نعلم ان مؤلفه عاصر احداثاً كثيرة تكتسب اهمية كبيرة.كما أسهمت كتب الرحلات بتوفير مادة جيدة للدراسة ، وهذه الرحلات التي قام بها عدد من الاوربيين او غيرهم الى مدينة الحلة سواء على شكل سياح او لأغراض سياسية أو تجارية أو دينية وتجوالهم في مناطق الحلة، فدونوا انطباعاتهم عن واقع الحياة في العراق بصورة عامة، والحلة بصورة خاصة، وتأتي في مقدمتها رحلات المنشئ البغدادي وولستيد، اذ قدمت هذه الرحلات مادة علمية جيدة لا غنى عنها عند الكتابة عن تاريخ الحلة في العهد العثماني.واعتمد البحث على بعض المصادر المهمة الاخرى التي كتبها مؤرخون لهم باع طويل في الكتابة التأريخية، منها كتاب (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) لمؤلفه ستيفن همسلي لونكريك، الذي يكتسب اهمية للمعلومات الواردة فيه، ولتحليل مؤلفه الجرئ لكثير من الاحداث العراقية في العهد العثماني، رغم ذلك حذرنا في التعامل معه لان اسلوب مؤلفه في الكتابة عن الشرق لا يختلف عن اسلوب اقرانه الانكليز، وغالباً ما يتخير لبلاده عند ذكر احداث تهم بريطانيا وأطماعها في المنطقة.ويعد كتابا (العراق بين أحتلالين) و(عشائر العراق) لعباس العزاوي ذات أهمية، إذ أستفدنا منهما في جوانب متعددة من دراستنا هذه، ودراسات عباس العزاوي مهمة لكل باحث عن تاريخ العراق في العهد العثماني، وتعد من المصادر الاساسية. كما ان دراسات علي الوردي مهمة لكل مهتم بالمجتمع العراقي فكتابه (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) فيه تفصيلات وافية عن واقع المجتمع العراقي في العهد العثماني افادت الدراسة خاصة في جوانبها الاجتماعية.وكتاب (داود باشا والي بغداد) للمؤرخ عبد العزيز سليمان نوار يكتسب اهمية لانه دراسة اكاديمية قيمة، ومؤلفه من المؤرخين الاكفاء الذي كتب عن العراق دراسات ذات قيمة كبيرة، لذا افاد كتابه هذا دراستنا ودخل في اكثر من موقع. يضاف الى ذلك دراسة علاء نورس (العراق في عهد المماليك) التي تكتسب اهمية لانها دراسة اكاديمية، وقد عالج كثيراً من الاحداث التأريخية بموضوعية. فكانت هذه الدراسة ذات اهمية كبيرة لموضوعنا.واعتمدت الدراسة على عشرات المصادر الاخرى، لها اهميتها، وهي مثبتة في قائمة المصادر.

ختاماً، أرجو ان أكون قد وفقت في هذه الدراسة، وان يكون البحث ذا قيمة للباحثين وطلبة العلم والمعرفة، الذين يكون اهتمامهم تاريخ الحلة الحديث.

والله ولي التوفيق

المبحث الاول موجز تأريخي عن الحياة العامة في الحلة ١٧٤٩-١٨١٧م

اولاً: وصف عام لمدينة الحلة في عهد المماليك[١]:: اكتسب موقع الحلة القريب من بغداد أهمية خاصة لأسباب سياسية وعسكرية، فهو لا يبعد عنها سوى ٤٥ ميلاً، لذلك برزت أهمية الحلة للعثمانيين. وبهذه الاهمية شبهها احد الرحالة الاجانب ببغداد الصغرى[٢].وكانت مدينة الحلة في عهد المماليك عامرة باسواقها وسعتها، وهي تعج ببساتين النخيل، وبيوتها مشيدة بالطابوق المفخور او بالطابوق المجفف بالشمس[٣]، وكثير منها بني بطابوق بابل الذي استخدمه اهل الحلة على نطاق واسع في بناء بيوتهم ومساجدهم وحوانيتهم[٤]. ويوجد في

---

[١] يعد حسن باشا ١٧٠٤-١٧٢٣ أول من جلب المماليك الى العراق وأعتنى بهم، والمماليك من جورجيا وعشائر القوقاز، وقد اشترى حسن باشا منهم أعداد كثيرة، ورباهم تربية خاصة تعدهم لحياة أدارية وعسكرية سليمة، وكون منهم فرق عسكرية ، كما ان أبنه أحمد ١٧٢٣-١٧٤٧ سار على منواله . يراجع: عبد الرحمن السويدي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق صفاء خلوصي ، ج١، بغداد، مطبعة الزعيم، ١٩٦٢، ص٢٢؛ أحمد علي الصوفي، المماليك في العراق، الموصل، ١٩٥٢.

[٢] Abraham Parsons, Travels in Asia and Africa, London, ١٨٠٨, P.١٤٠.

[٣] يوسف كركوش، تاريخ الحلة، النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٥، ج١، ص١٢٦.

[٤] الاب قيليب الكرملي، الرحلة الشرقية، ترجمة بطرس حداد، مجلة المورد، المجلد (١٨)، العدد (٤)، ١٩٨٩، ص١٦٠.

داخل المدينة جامع ذو منارة واحدة فقط، بينما تشاهد في خارج المدينة جوامع اخرى متعددة[٥]. ولعل أمتعاض بعض الرحالة من الحالة البائسة التي كانت عليها طرق الحلة وشوارعها في أواخر القرن الثامن عشر، لضيقها وعدم تبليطها[٦]، صائباً لأن المماليك أهملوا العناية بالمرافق العامة في كل مدن العراق ومناطقه.إن نهر الفرات[١] يخترق المدينة من وسطها، يقسمها الى قسمين شرقي وغربي، ولكن القسم الشرقي أكثر بروزاً في سعته ومساكنه[٢]. ويرتبط طرفا المدينة بجسر يتألف من (٢٩) قارباً، وآخرون ذكروا (٣٢) قارباً[٣]، ثبت احدهما بالاخر بسلاسل منفردة، عرضه (٨) أقدام، وقد فرشت ارضيته بالقش بدلاً عن الرمل والحصى، نهايته محاطة بسور، وتوجد بوابة عند كل نهاية، ويبلغ عمق مياه النهر تحت الجسر (١٥٠) قدماً[٤]. وكان عرض نهر الفرات في أوطئ مياهه (٤٠٠) قدم، ولكنه يأخذ في الارتفاع في اواخر كانون الاول او بداية كانون الثاني[٥]. بسبب زيادة مناسيب المياه في موسم الفيضان.والمدينة محاطة بسور في قسميها الشرقي والغربي، والهدف منه تأمين الحماية للمدينة والدفاع عنها ضد الاعتداءات الخارجية[٦]. ويذكر بعض الرحالة أن سور الحلة بني من الطين، وهو في حالة مزرية[٧]. ويبدو ان هذا الوصف للسور غير دقيق، حيث استخدم في بناءه طابوق اثار بابل والجص، فضلاً عن أن المماليك قد أنصب أهتمامهم منذ مطلع القرن التاسع عشر على تعزيز دفاعات المدن والمناطق التي تطالها ايدي المهاجمين ، فأهتمت بأسوارها وعززت القوات العسكرية فيها[٨].وقد أختير موقع مقر حاكم الحلة في الجانب الشرقي من المدينة على حافة النهر مباشرة[١]. وكان أول حاكم لها في عهد المماليك الامير خضر بك بن عبد الله جلبي بن أحمد جلبي بن أمير الحاج محمد ياسين بك، وولده محمد أغا كان أمين سر عسكر اللاوند[٢] في الحلة[٣].وطيلة العهد العثماني، ومنها مدة حكم المماليك، ركزت السياسة الادارية العثمانية في أختيار حكام المدن على العناصر التركية، ومنها متصرف الحلة الذي يتلقى الاوامر والتعليمات من الحكومة المركزية في بغداد، وهو مسؤول أمامها في تنفيذها[٤].ويوجد في الحلة حوالي الفي فارس تحت تصرف حاكم الحلة العسكري الذي يعرف بـ(الكهية)[٥]، وهؤلاء ، ومعظمهم من الاتراك ، يمتلكون أراضي زراعية على ضفتي النهر، وقد أبتنى بعضهم قصوراً أو بيوتاً[٦].ومن الملاحظات المهمة ان الاتراك كان وحدهم الذين يحتلون الدوائر الحكومية التي يعتمد عليها الحاكم، وهم بصفة عامة من الجورجيين المعينين من حكومة بغداد[٧]. يضاف الى ذلك ان سلاح المدفعية والاسلحة المتوسطة والخفيفة موجودة في دار

---

[٥] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٦٠.

[٦] اوليفيه، رحلة أوليفيه الى العراق ١٧٩٤-١٧٩٦، ترجمة يوسف جي، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨، ص١٤٩.

[١] بقي نهر الفرات ممراً واحداً يمر بمدن الفرات الاوسط، الحلة والحسكة، وغيرها طيلة العهد العثماني، حتى مطلع القرن التاسع عشر عندما اخذت المياه تنساب باتجاه الكوفة من جنوب المسيب، وعرف فيما بعد بشط الهندية وهذا أثر سلباً على كمية المياه في مجرى الفرات الرئيسي الذي عرف فيما بعد بشط الحلة. للتفاصيل يراجع: أحمد سوسة، وادي الفرات ومشروع سدة الهندية، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٤٥؛ ميثم عبد الخضر السويدي، سدة الهندية وآثارها الاقتصادية على الحلة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٧.

[٢] جيمس بكنغهام، رحلتي الى العراق في سنة ١٨١٦، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، دار البصري، ١٩٦٩، ج٢، ص ص٣٥، ٣٦.

[٣] نيبور، مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥، ترجمة سعاد هادي العمري، بغداد، دار المعرفة، ١٩٥٥، ص١٠١.

[٤] Abraham Parsons, Op. Cit, P.١٤١.

[٥] نيبور، المصدر السابق، ص١٠١؛ يوسف كركوس، المصدر السابق، ج١، ص١٢٧.

[٦] أوليفيه، المصدر السابق، ص١٤٩.

[٧] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ج٢، ص٤٤؛ لا نستبعد ان تكون ملاحظة بكنغهام صحيحة، ولكن ليس على كل سور الحلة بل على جزء صغير منه.

[٨] علي هادي عباس المهداوي، الحلة كما وصفها السواح الاجانب في العصر الحديث دراسة تأريخية تحليلية، الحلة، مكتبة الرياحين، ٢٠٠٥م، ص٢٧.

[١] أوليفية، المصدر السابق، ص١٤٩.

[٢] اللاوند جند نصف نظامي، كان يتكون في العراق من الاكراد واللر في الغالب. ويتحتم على الجندي منهم ان يشتري لنفسه حصاناً ويطعمه على حسابه. ولم يكن اللاوند يتقنون استعمال الاسلحة لانهم يجندون دون تدريب. والمعتقد ان اللفظة محرفة عن كلمة ليفانت الايطالية وتعني الشرق. يراجع: جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بيروت، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١، ج١، ص٣٦٣.

[٣] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٢٥.

[٤] نيبور، المصدر السابق، ص١٠٠.

[٥] الكهية وأصلها كتخدا أو كدخدا الكلمة فارسية من مقطعين (كد) بمعنى المكان و(خدا) بمعنى الاله او الرب او الرئيس، يلفظها الاتراك كتشدا، ومعناها الاصطلاحي معاون الوالي. وقد أصيبت هذه الكلمة في الاوساط التركية والعراقية والكردية بتحريفات مختلفة. فالاتراك حرفوها الى كهيه او كخيا، والعراقيون حرفوها (جخية) بالجَيم الفارسية كما ان الاكراد يلفظونها كويخيا أي رئيس القرية او مختارها. يراجع: سليمان فائق بك، تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، ترجمة محمد نجيب أرمنازي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦١، ص ص٢٠، ٢١، الهامش.

[٦] أبو طالب محمد خان، رحلة أبي طالب خان الى العراق وأوربا سنة ١٢١٣هـ-١٧٩٩م، ترجمة مصطفى جواد، بغداد، مطبعة الايمان، ١٩٦٩، ص٢٩٤؛ كان الرحالة الهندي ابو طالب خان أديباً، فترجم للسلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) كتاب (القاموس المحيط) للفيروز آبادي وقدمه اليه في الاستانة، ونشرت هذه الرحلة لأول مرة عام ١٨١٢ في مدينة كلكتا بعد وفاته، وترجمها لأول مرة في العراق يعقوب سركيس.

[٧] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ج٢، ص٣٧.

الحاكم وكبار موظفيه[١]. ويبدو واضحاً ان المماليك اهتموا بحماية موظفيهم من ان يتعرضوا للاغتيال، ودلالة اخرى على اضطراب الوضع الامني في منطقة الحلة، وشعور الاتراك الدائم بالقلق وعدم الثقة من العرب.كان أهل الحلة ينظرون الى حكامهم المماليك نظرة مقت وكراهية لأنهم يرونهم كلصوص لا هم لهم الا جباية الضرائب، والاستيلاء على خيرات بلادهم دون ان يقوموا بخدمة عامة تعود على البلاد بالخير مثل أنشاء المستشفيات والمدارس وتنظيم مدينتهم وحفظ الامن، وتوفير الخدمات العامة الاخرى[٢]. لذا فأن الحليين لم يروا الراحة في عهدهم ، إلا في فترات قليلة، فالثورات الاهلية في الحلة او أريافها على قدم وساق تارة على الحكومة واخرى على العشائر القريبة المجاورة علاوة على ذلك التصدي لغارات الوهابيين المتكررة[٣].

ثانياً: سياسة المماليك تجاه عشائر الحلة

لقد واجه المماليك خلال حكمهم للعراق مشاكل داخلية كثيرة، وذلك بحكم طبيعة المجتمع العراقي ، وتقسيم العراق الى ولايات، والاعتراف بحكم العصبيات فيه. فقد ورثوا المشكلة العشائرية بأعنف صورها، ففي مناطق الحلة المجاورة لبغداد كانت الحركات العشائرية المسلحة مستمرة طيلة عهدهم.ولعل معظم هذه الثورات كان سببها سوء أدارة الولاة وجسامة الظرائب الحكومية التي تنوء بها كامل العشائر. وبذلك عملت الاخيرة دوماً على التخلص من سيطرة الحكومة لتتهرب من دفع تلك الضرائب . يضاف الى ذلك ان التكوين العشائري وما يتميز به من عادات وتقاليد يجعل من الصعب على افراد العشيرة الخضوع للحكومة وقوانينها، إذ ان ولاءهم يقتصر على عشيرتهم وشيخهم[٤]، لذا كانت الحكومة في نظرهم امر يستحق الازدراء والعصيان[١].قاسى الولاة المماليك مشاقاً كثيرة في اخضاع العشائر الثائرة التي استنزفت ثوراتهم الكثير من الاموال والجهود، وكانت الحملات العسكرية التي توجه الى هذه العشيرة او تلك، تكاد تكون من عادات حكم كل وال من الولاة المماليك، وكانت هذه الحملات تقوم بتشريد العشيرة وتستولي فيما تستولي من اموالها على مواشيها وتعدها من الغنائم الحربية. يرافق ذلك تدمير وتخريب، ويتلو ذلك في جميع الحملات تبديل الشيخ واخلاد العشيرة الى السكينة بضعة أشهر، ثم تلجأ العشيرة بعد ذلك الى قطع الطرق والسلب والنهب[٢]. ففي عهد عمر باشا[٣] اضطربت منطقة الفرات الاوسط، إذ أخذ نفوذ الخزاعل[٤] يقوى ويشتد ، فأرسلت اليهم الجيوش ودمرت حاضرتهم لملوم[٥]،وأعدم عدد من الرؤساء من دون رحمة، ثم أستبدل الشيخ الثائر بغيره بعد ان فر هارباً من وجه الجيش[٦]. وبعد عمر باشا استفحل امر الخزاعل وازدادت قوتهم بزعامة حمد الحمود الداهية[٧]، الشخصية القوية وصاحب الطموح الوثاب، فهو يأبى الضيم والخضوع، لذلك كان كثير الاصطدام بالحكومة، سريع الخروج عليها[٨].من الملاحظات التي تسجل عن أبناء العشائر ان قيمة الرجل عندهم تقاس بمقدار ما يبدي من نخوة وسخاء في عشيرته من جهة، وما يبدي من شجاعة واقدام في غزو الاخرين من جهة اخرى[١]. وعندما تسلم سليمان باشا الكبير[٢] السلطة في بغداد عام ١٧٨٠م جهز جيشاً وتوجه به الى معاقل الخزاعل في اطراف الحلة، فأستطاع ان يهزم الخزاعل وابدل شيخهم حمد الحمود بـ محسن بن محمد، واستقر

---

(١) علي هادي عباس المهداوي، المصدر السابق، ص٤٦.

(٢) يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٢٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) علاء موسى كاظم نورس،حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١،بغداد،دار الحرية للطباعة،١٩٧٥،ص١٤٨.

(١) حنا بطاطو، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ، ترجمة عفيف الرزاز، القسم الاول، بيروت، مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٩٥، ص٣٢.

(٢) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص١٤٩.

(٣) عمر باشا (١٧٦٣-١٧٧٥) من الكهيات الستة الذين تأمروا على والي بغداد علي باشا وقتلوه. قام باصلاحات ادارية وعمرانية، وقد وفد مرض الطاعون في عهده فشمل البلاد كلها ولم ينج منه الا القليل جداً، وذلك عام ١٧٧٢م. يراجع سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٢، ص١٣؛ باقر أمين الورد، بغداد . خلفائها. ولاتها. ملوكها. رؤساؤها منذ تأسيسها عام ١٤٥هـ-٧٦٢م الى عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٤م، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤، ص٢٢٥.

(٤) الخزاعل عشيرة قوية ترجع اصولها الى طي بن سنبس بن قحطان، يسكنون غرب السماوة ومناطق الحلة. يراجع عباس العزاوي، عشائر العراق ، لندن، مكتبة الصفا والمروى، د.ت، ج١، ص٩٧ وصفحات اخرى.

(٥) لملوم قرية كانت على شاطئ الفرات في الجانب الشرقي الى الجنوب من بلدة الحسكة (الديوانية) ، وذكر نيبور الذي زارها عام ١٧٦٥ ان شيخ الخزاعل يسكن فيها. يراجع: نيبور، المصدر السابق، ص٦٣.

(٦) جعفر الخياط، المصدر السابق،ج١، ص١٦٤.

(٧) يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٢٨.

(٨) جعفر الخياط، المصدر السابق، ج١، ص٢١٠.

(١) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٢، بيروت، دار الراشد، ٢٠٠٥م، ص٧.

(٢) كان سليمان باشا الكبير مملوكاً لمحمد افندي الماردينى (متسلم ماردين)، وبعد وفاة سيده رحل الى بغداد والتحق بخدمة سليمان ابو ليلة (١٧٤٩-١٧٦٢)، ثم صار في عهد عمر باشا رئيس للقسم الداخلي، وقد أبدى حزماً ودراية في تمشية الواجبات الملقاة على عاتقه مما أعجب به الوالي فعينه متسلماً للبصرة عام ١٧٦٥م. يراجع احمد جودت، تاريخ جودت، استانبول، ١٣٠٢هـ، ج٧، ص ص١٣٨-١٤١؛ باقر امين الورد، المصدر السابق، ص٢٣١.

سليمان باشا وجيشه غربي الفرات، مقابل الديوانية، لكن الخزاعل كسروا سدود المياه، واصبحت بلادهم أهوار[٣] فتحصنوا فيها. ولما بلغ سليمان ما فعله الخزاعل امر باقامة السدود، حينئذ تيقن الخزاعل ان المياه التي هي حصونهم لابد ان تنشف عن قريب فيغير عليهم سليمان بخيله ويملكهم عن آخرهم، فأذعنوا للطاعة وأرسلوا نساءهم يرجون لهم عند الباشا[٤]، فعفا عنهم سليمان وأعاد حمد الحمود شيخاً وأستوفى الضرائب المترتبة عليهم[٥] وتكررت تحركات الخزاعل في عامي ١٧٨٣ و١٧٨٥، فتوجه اليهم سليمان باشا بجيشه، وكان هؤلاء قد أغتنموا فرصة الفوضى التي حلت بالبلاد في السنوات السابقة فسيطروا على منطقة الفرات الاوسط زهاء ثماني سنوات برئاسة شيخهم حمد الحمود، واستطاع سليمان باشا ان يخضعهم لأمره بواسطة قطع مياه النهر عنهم دون ان يريق قطرة دم واحدة[٦]، وقد كافأه السلطان على ذلك بسيف مرصع القبضة وثوب من السمور الفاخر[٧].ان التنافر الطبيعي بين حياة القبائل العربية التي يسيرها العرف العشائري المتأصل، وتقاليد العرب المعروفة، وبين الحكم الدخيل الذي كان يفرض على العشائر لتخضع له وتؤدي الضرائب الباهضة اليه من دون ان تحض لقاءها بشيء من نعم العملية التمدينية التي كان يتوجب على الحكومات الصالحة ان تمارسها[١]، أدى الى اتحاد عشائري قوي ضد المماليك عام ١٧٨٧م، استطاع السيطرة على البصرة لأكثر من ثلاثة اشهر[٢]. وقاد هذا الاتحاد سليمان الشاوي[٣] شيخ العبيد[٤] وثويني العبد الله[٥] رئيس عشائر المنتفق[٦] وحمد الحمود شيخ الخزاعل[٧]. ويذكر عثمان بن سند ان السيطرة على البصرة تمت بدون اراقة دماء، وان ثويني استولى على اموال البصرة واراضيها ومزارعها، وجبى الاموال واخذ الغرامات من التجار واهل الاموال واضر بكل من يشم منه رائحة الغنى[١]، لكن توماس هاويل[٢]، الذي زار البصرة بعد بضعة اشهر من استعادتها الى سلطة المماليك يذكر عكس ما قاله ابن سند، فيقول: "كان ثويني قد استولى عليها في عام ١٧٨٧م بتدابيره الصائبة، ففاجأ حاميتها وأحتل المدينة من دون مقاومة. والامر الملفت للنظر انه لم يصب اذ ذاك احد من سكانها بأهانة، ولم يتجاوز احد على مال لأحدهم، ولم يطلب الشيخ من سكانها غرامة حربية. وبعد ان استولت جيوش الشيخ بنصف ساعة عادت شؤون الناس تجري بانتظام لا يشوبه ما يخل به، فكانه لم يقع هناك حادث غير اعتيادي[٣]. وتعد هذه الحركة العشائرية اخطر ثورة عربية قامت في وجه حكومة المماليك في العراق[٤].وقد أستمر سليمان باشا الكبير يعمل على اقرار الامن والنظام ، ففي سنة ١٧٩٣م بعث حملة الى الخزاعل التي اخذ شيخها محسن الحمد يماطل في دفع ما عليه من رسوم الضرائب، فتم استيفاؤها منه، وصدر الامر بعد ذلك بعزله وتعيين حمد الحمود مكانه. وفي سنة ١٧٩٧ عاد حمد الحمود الى الثورة على

---

[٣] الأهوار جمع هور وهو البحيرة التي تفيض بها مياه غياض وآجام فتتسع . يراجع الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٦٢.

[٤] يذكر عثمان بن سند أن ارسال النساء الى الوالي طلباً للعفو يعد عند أهل العراق من علامات الذل والخضوع والطاعة. يراجع عثمان بن سند البصري الوائلي، مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داوود، اختصره امين بن حسن الحلواني المدني، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٧١هـ، ص٢٢.

[٥] المصدر نفسه، ص٢٣.

[٦] رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء ، ترجمة موسى كاظم نورس، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٤٣١هـ، ص ص١٨٠، ١٨١؛ احمد علي الصوفي، المصدر السابق، ص٥٩.

[٧] علي الوردي، المصدر السابق، ج١، ص١٧٧.

[١] جعفر الخياط، المصدر السابق، ج١، ص٢١٠.

[٢] أحمد جودت، المصدر السابق، ج٣، ص٣١؛ رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص١٨٦.

[٣] سليمان الشاوي من اسرة عريقة ترأست عشيرة العبيد، عرف عن الشاوي بالشجاعة وسداد الرأي، وكان من المقربين الى باشوات بغداد وكثيراً ما كان يتولى لديهم منصب (باب العرب)، وكان سليمان باشا الكبير يستشيره في معظم الامور قبل ان تنقطع العلاقة بينهما منذ عام ١٧٨٥. قتل الشاوي في ظروف غامضة عام ١٧٩٣م. يراجع رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص٨١، ٨٢؛ ابراهيم فصيح الحيدري البغدادي، عنوان المجد في احوال بغداد والبصرة ونجد، القاهرة، مطبعة مدبولي، ١٩٩٩، ص٨٤؛ محمد سعيد الراوي، البغدادي، تاريخ الاسر العلمية في بغداد، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٧، ص ص٣٩٦-٤٠٩.

[٤] هذه العشيرة من زبيد الاصغر الذي يرجع نسبه الى قحطان، وكان اشهر رؤسائها شاوي بن نصيف من البو شاهر عاش في اوائل القرن الثاني عشر الهجري. يراجع: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٣، ص ص١٥١-١٥٤؛ جميل ابراهيم حبيب، العشائر الزبيدية في العراق،بغداد، مطبعة الجاحظ، ١٩٩٠، ص١٤٠.

[٥] هو ثويني بن عبد الله بن محمد بن مانع، يرجع نسبه الى شبيب الحسني. تولى امارة المنتفق بعد ابن عمه ثامر بن سعدون بن محمد عام ١٧٧٨م، وقتل عام ١٧٩٧م اثناء الحرب الدائرة بين المنتفق وآل سعود، وهو من الشخصيات المهمة . تناوب على الامارة مع حمود ثامر السعدون تبعاً للعلاقة مع الولاة المماليك. يراجع عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٤، ص١١٢.

[٦] المنتفق من الامارات المهمة في العراق، تتكون من عشائر كبيرة وكثيرة. يرجع تأسيسها قبل الاحتلال العثماني للعراق عام ١٥٣٤م، ويرجع نسب شيوخها الى شبيب الحسني. للامارة تاريخ مشرف وكتبت العديد من الدارسات عن الامارة ورجالها. للتفاصيل يراجع: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٤، ص١٢ ومابعده.

[٧] احمد جودت ، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣١؛ رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص١٨٦.

[١] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص٤١.

[٢] كان توماس هاويل من موظفي شركة الهند الشرقية، وقد وصل الى البصرة في شباط عام ١٧٨٨م، أي بعد ان استعادها سليمان الكبير ببضعة اشهر ، لأن العرب استولوا عليها في مايس ١٧٨٧م ثم استرجعت في آب من تلك السنة نفسها. يراجع: جعفر الخياط، المصدر السابق، ج١، ص٢١٤.

[٣] المصدر نفسه، ج١، ص٢١٥.

[٤] علي الوردي، المصدر السابق، ج١، ص١٨١؛ علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص١٥٥.

الحكومة فأرسلت اليه حملة بقيادة الكتخدا علي باشا[٥] فشتت اتباعه، وكان هو على رأس الفارين[٦].وفي سنة ١٧٩٩ وفدت مجاميع من عشائر عنزة[٧] الى مقاطعة الطهمازية التابعة للحلة للاكتيال، ولكنهم تطاولوا على العشائر الموجودة هناك واغاروا عليها، ونهبوا ممتلكاتها، وعبثوا بالامن، لذا سير سليمان باشا جيشاً بقيادة الكنخدا على للقضاء على خطرها ، لكن عنزة عند سماعهم خبر قدوم الجيش التجأوا الى عشائر جشعم[١] والاسلم[٢] والرفيع[٣] فأخفوهم بينهم بمقتضى الشيمة العربية ثم توسطوا لهم فعفا عنهم الباشا. بعد ذلك توجه الكتخدا الى الحلة فشكا الاهالي من جور حاكمها العسكري ، فعرض الحالة على الباشا فصدر الامر بعزله. بعد ذلك اتجه الى عشيرة جشعم وفرض غرامة عليها خمسمائة بعير والفي شاة، فلم يستطيعوا دفعها والتمسوا العفو فعفا عن النصف واخذ النصف الباقي وتوجه الى بغداد[٤].وفي معظم السنوات كانت قبيلة الخزاعل في مواجهة المماليك، ففي عام ١٨٠٠م ثاروا بوجه حكومة سليمان الكبير، وتحصنوا في مناطقهم المحاطة بالاهوار والانهار القريبة من لملوم، فأمر الباشا كتخداه علي بالتوجه اليهم، واستطاع جيش المماليك محاصرتهم وتشديد الخناق عليهم مما اضطرهم الى الاستسلام. فأغتنم الجيش نحو عشرة الاف تغار[٥] من الشلب واموالاً اخرى. وقام الكتخدا بقطع المياه عن الاهوار التي تحصنوا فيها[٦].ان القاء نظرة سريعة على تاريخ العلاقات بين سليمان باشا الكبير والعشائر العربية ليدل على ان علاج المشكلة ليس بالقوة، وانما في استقرار هذه العشائر، لذا ظلت المشكلة العشائرية قائمة[١].وفي موضوع ذي صلة بالعشائر، واجه سليمان باشا مشكلة اخرى لا تقل خطراً من المشكلة العشائرية ، وهي مشكلة الغزوات الوهابية[٢] على العراق، ومنها مناطق الحلة. فأتخذ سليمان الكبير اجراءات سريعة اذ نشر جيشه في مناطق الهندية والحلة لصد الهجمات الوهابية التي يقودها ابن سعود[٣]. واتخذ مدينة الحلة مقراً متقدماً له. وكان ابن سعود يطمح بضم كل مناطق غربي الفرات الى امارته[٤].وقد استعدت حكومة الحلة في عام ١٨٠٢ لصد الوهابيين عن الحلة، واحاطت المدينة بالبنادق والمدافع، وتطوع جم غفير من الحليين للدفاع عن مدينتهم، ولما شارفها الوهابيون ضربوا خيامهم في مكان قرب الحلة يقال له (الغيلة)، فلما أرادوا الهجوم على الحلة ضربوا بالمدفع الذي وضع على تل الرماد[١]، يضاف الى ذلك ان بعض الحليين ابدى شجاعة نادرة بحيث اذهل الوهابيين فوجد هؤلاء ان لا طاقة لهم في الاستيلاء على الحلة، فرحلوا عنها الى كربلاء[٢].اشتد ضغط السلطة العثمانية في اسطنبول على حكومة بغداد، وعلى رأسها علي باشا ليجرد حملة على الوهابيين ، فلجأ علي باشا الى القيام بحركات مظهرية اكدت ان

---

[٥] علي باشا (١٨٠٣-١٨٠٧) تولى ولاية بغداد بعد وفاة سليمان باشا الكبير، وهو صهر سليمان وكتخداه، كان ذا دين حافظاً للقرآن الكريم ورعاً يحب الصلحاء والعلماء، شجاعاً ذا هيبة. استطاع بحكمة وبصيرة معالجة الاضطرابات العشائرية والهجمات الوهابية. قتل عند اداءه صلاة الفجر. يراجع: سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص ص٣٣-٣٥؛ باقر امين الورد، المصدر السابق، ص٢٣٢.

[٦] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص١٩٧- ٢٠٢.

[٧] عنزة من قبائل العرب الكبرى، تنتشر فطي العراق وسوريا وشبه الجزيرة العربية، وال سعود منهم، كذلك آل صباح وآل خليفة، ولا يزال حكامها محافظين على مناصبهم ولم يقلل من قيمتها تفرق عشائرها فانها كثير العدد. ويرجع اصلها الى معد بن عدنان واشهر زعمائهم في العهد العثماني المتأخر فهد الهذال. للتفاصيل يراجع: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص ص٢٥٨-٢٩٤.

[١] الجشعم (القشعم) من عشائر الاجود، وهناك تضارب في نسبها في المصادر التأريخية منهم ينسبها عدنانية، وآخرون ينسبوها قحطانية. وأول ذكر لها في تاريخ ابن الفرات ضمن حوادث سنة ٧٩٥هـ. يراجع: المصدر نفسه، ج٣، ص ص٢٣٤-٢٣٦.

[٢] عشيرة الاسلم ترجع الى عشائر الصائح الشمرية، فرع الصديد. يعرفون بـ (ضناكدير) جدهم الاعلى، او (اهل الحيسة) لكرمهم، واقدم ذكر لهم في عام ١١١٨هـ ١٧٠٦م في كتاب (الفرج بعد الشدة) للمولوي. يراجع المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٦.

[٣] الرفيع من غزيه، ومنهم من يقول انهم من عنزة، وترجع اصولهم الى معد بن عدنان، ويضرب المثل بـ(حصان الرفيعي) يقال انه كثير الصهيل ورفيع الشليل وليس له قدرة على الشبوة. والرفيع ذو الابل النجاب والخيل العراب، والمن الوافر بلا حساب، وقناتهم لا تلوى ، ومحامدهم شائعة. يراجع المصدر نفسه، ج٤، ص٨٤.

[٤] عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٤١٠هـ، ج٦، ص ص١٣٦-١٣٨.

[٥] كانت اوزان بغداد التغار (٢٠٠٠كغم) والوزنة (١٠٠ كغم) والمن الكبير (٢٤كغم) والمن الصغير (١٢ كغم) والاوقية (٢ كغم)، وأوزان المدن الاخرى تحمل الاسماء نفسها لكن تختلف عنها في الكمية، وهكذا فان وزنة الحلة كانت تساوي (١٠٢,٥٦٥كغم). نقلاً عن حنا بطاطو، المصدر السابق، ص٣٥.

[٦] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص٧١؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ص ص١٣٩-١٤٠.

[١] عبد العزيز سليمان نوار، داوود باشا والي بغداد، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧، ص٤٠.

[٢] الوهابية نسبة الى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، ولد عام ١١١٥هـ وتوفي عام ١٢٠٦هـ وبدأت دعوته عام ١١٥٧هـ بعد وفاة والده، وعاصر ابن المعمر (أمير العيينة)، ومحمد بن سعود (أمير الدرعية)، ثم ابنه عبد العزيز. كانت دعوته دينية، وما لبثت ان اصبحت دينية سياسية بعد تحالفه مع ابن سعود. اهم كتبه (كشف الشبهات) و(التوحيد). للتفاصيل يراجع: حسن بن فرحان المالكي، داعية وليس نبياً. قراءة نقدية لمذهب الشيخ محمد عبد الوهاب في التكفير، عمان، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، ص٢٠٠٤، ص ص١٤١-١٤٤؛ هارفارد جونز بريدجز، موجز التاريخ الوهابي، ترجمة عويصة بن مبيريك الجهني، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥.

[٣] كان يقود الهجمات الوهابية على العراق سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، فبعد اغتيال والده عام ١٨٠١م، وأتهام احد العراقيين بقتله، كثفت الهجمات السعودية الوهابية على العراق بقصد ضمها الى ممتلكاته، لكنه لم ينجح في ذلك بسبب معارضة القبائل في الجزيرة العربية لحكمه، والخطوات التي اتخذتها الدولة العثمانية للوقوف بوجهه. يراجع: ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، بيروت، منشورات اتحاد شعب الجزيرة العربية، د.ت، ج١؛ احمد رائف، الدولة السعودية فجر التكوين وآفاق الاسلام، القاهرة، الزهراء للاعلام العربي، ١٩٩٥.

[٤] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢١٣؛ احمد جودت، المصدر السابق، ج٧، ص١٤٣.

[١] تل الرماد ويسمى بـ(الجبل) ، وهو منطقة مرتفعة نوعاً ما، أستطاع سعد صالح جريو متصرف الحلة في خمسينيات القرن الماضي ان يجعل منها جنائن معلقة بزراعتها مختلف الاشجار والورود، ويقع حالياً قرب باب المشهد. يراجع : عبد الرضا عوض، أوراق حلية من الزمن الصعب في القرن العشرين، الحلة، مكتبة الصادق، ٢٠٠٥.

[٢] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص٧٤؛ يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣١.

العراق ليس القوة القادرة على صد القوة الوهابية. هذا العجز جعل عشائر العراق النازلة غربي الفرات تتعرض لقوة الهجمات الوهابية فلم يكن امامها سوى ان تشد رحالها الى ارض الجزيرة العراقية حاملة معها عناصر الفوضى والاضطراب[٣].وعلى اثر هجوم الوهابيين اهتمت حكومة المماليك بسور الحلة لصد غارات الوهابيين وغيرهم التي اصبحت معتادة سنوياً، فأنشئ بدل السور المهدم سور محكم، بني بالصخور التي نقلت من اطلال بابل، وقد اشترك اهل الحلة مع الحكومة في اقامته[٤].تعاظم الخطر الوهابي في عهد سليمان باشا الصغير[٥]، فقد وردت الانباء سنة ١٨٠٨م تنبئ بظهور قوة كبيرة من الوهابيين للهجوم على كربلاء، فأنتشر الهلع في نفوس الحليين، وغزا الوهابيون القرى وحقول الرز الى الحلة عبر قناة الهندية الصغيرة ورجعوا بمجرد وصول الباشا الى الحلة، صارت القوات الوهابية مصدر خطر على مدن الفرات، وصار الرعاة العراقيون لا يخرجون الى البادية لخوفهم على اغنامهم من الوهابين[١].تجددت الحركات العشائرية المعارضة في مناطق الحلة في عهد التوتنجي[٢]، وكانت الحكومة تبعث جيوشها في كل مرة الى هذه العشائر لتحطم مقاومتها مؤقتاً، وتأخذ ممتلكاتها عنوة، ثم تعفو عنها، وبعد بضعة اشهر تنشب الحرب من جديد. وكانت قبيلتي الخزاعل وزبيد[٣] أشد المعارضين[٤].وفي عهد سعيد باشا[٥] برزت شخصية داوود[٦] في فك الحصار عن الزوار في كربلاء عام ١٨١٤، وفيهم زوار ايرانيون ، منهم حرم فتح علي شاه[٧]. وكانت كربلاء محاصرة من قبائل عدة منها قبائل حلية لغرض سلب الزوار ، فاستطاع داود ان يجهز جيشاً كبيراً من قاعدته في مدينة الحلة ويشتت العشائر المحاصرة وينقذ الزوار، ثم قام بقمع العشائر الحلية التي بثت الفوضى والاضطراب في المنطقة الواحدة تلو الاخرى[١].

ثالثاً: الاوضاع الاقتصادية في الحلة

ان موقع الحلة على نهر الفرات اكسبها اهمية تجارية، ذلك ان التجار كانوا يفضلون استخدام طريق الفرات النهري لنقل البضائع بين بغداد والبصرة، على طريق دجلة[٢] بسبب وجود التعرجات الكثيرة في الاجزاء الجنوبية من نهر دجلة، وقلة القرى السكنية ما بين العمارة وبغداد التي تعد مهمة لمتطلبات السفر وبخاصة عندما تتعرض السفن الى المخاطر المتعددة كالغرق او هبوب الرياح الشديدة، فضلاً عن السرقات من قبل قطاع الطرق. والاهم من ذلك كله ان طريق الفرات كان يشكل الجزء الجنوبي من طريق الفلوجة – بصرة، فكانت الحلة من اكبر المناطق التي يتوقف التجار فيها، حيث اتخذت كنقطة مرور الى بغداد او الى الاماكنة المقدسة في النجف وكربلاء[٣]. لذا فالحلة هي المحطة النهائية لطريق الفرات النهري، وتوفر للرحالة

---

[٣] عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٤٥.

[٤] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣١؛ علي هادي عباس المهداوي، المصدر السابق، ص٢٦.

[٥] تولى الولاية بعد مقتل علي باشا سنة ١٨٠٧م، حاول تنظيم امور البلاد واحقاق الحق ونشر العدالة بين الناس ولكن بعض المشاغبين واصحاب الفتن لم يرضهم ذلك فاحدثوا الاضطرابات مما جعل الوالي يخرج من بغداد خائفاً قاصداً شيخ المنتفق حمود الثامر، لكنه قتل في الطريق سنة ١٨١٠م وعمره خمس وعشرون سنة. يراجع: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص ص١٨١-٢٠٥؛ باقر امين الورد، المصدر السابق، ص٢٣٣.

[١] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٣٧؛ يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣٣.

[٢] كان من مماليك سليمان الكبير، اشتراه اثناء متسلميته للبصرة، وكان امياً، بسيطاً وسمي بالتوتنجي لانه كان يشغل وظيفة جوقجي لدى سليمان الكبير، والجوقجي هو الموظف الذي يعتني بادوات التبغ وتحضيره في وعائه للتدخين، عاش حوالي خمسين عاماً، وتسلم الولاية بعد سليمان الصغير عام ١٨١٠ الى عام ١٨١٣. يراجع سليمان فائق بك تاريخ بغداد، ص٤١؛ يعقوب سركيس، مباحث عراقية، بغداد، شركة التجارة للطباعة المحدودة، ١٩٤٨، ص١٠.

[٣] زبيد من العشائر العراقية المعروفة بكثرتها ومكانتها، وهي من العشائر القحطانية، منتشرة في مواطن عديدة ، وتاريخ ورودها الى العراق يرجع الى اوائل الفتح الاسلامي، والعشائر الزبيدية الحالية ترجع اصولها الى اولئك الذين جاءوا مع الفتوحات الاسلامية. للتفاصيل يراجع: عبد الرحمن السويدي، المصدر السابق، ص ص٤٧-٥٣؛ عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٣، ص ص٣٠-١٩٧؛ جميل ابراهيم حبيب، المصدر السابق،

[٤] سليمان فائق بك، تاريخ بغداد ، ص٤٨؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص ص٢٠٥-٢١٧.

[٥] سعيد باشا بن سليمان باشا الكبير، ولد عام ١٧٩٠م وعمره حين وفاة والده ١٢ عاماً. تسلم ولاية بغداد بمساعدة قبائل المنتفق وشيخها حمود الثامر عام ١٨١٣ بعد عبد الله التوتنجي واستمر حكمه الى عام ١٨١٦م، لم تستقر الولاية في عهده وشهدت صراعات واسعة وخاصة بينه وبين داوود . للتفاصيل يراجع: رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص٢٦٠-٢٧٤. سليمان فائق، تاريخ بغداد، ص٥٦.

[٦] سنعرف جيداً شخصية داود في المبحث الثاني.

[٧] هو الابن الاكبر لابي الفتح حسن قلي خان (شقيق أغا محمد شاه) ، عينه عمه اغا محمد شاه حاكماً على مقاطعة فارس، ولما كان أغا محمد شاه خصياً ولم يخلف احداً من بعده اختاره ولياً للعهد ليحفظ بذلك الحكم داخل الاسرة القاجارية، تسلم الحكم في ايران بعد مقتل اغا محمد شاه عام ١٧٩٧، وأستمر حكمه حتى عام ١٨٣٤. للتفاصيل يراجع: دونالد وليز، ايران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد المنعم محمد حسنين وابراهيم امين الشواربي، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٨، ص٣٠؛ شاهين مكاريوس، تاريخ ايران، القاهرة، دار الافاق العربية، ٢٠٠٣، ص ص٢٣٥-٢٤٠.

[١] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٢٠.

[٢] أوليفيه، المصدر السابق، ص٤٨.

[٣] Tayler. M., Voyage Dans Linde, Au travers du grand, Desert, Vol.٢, Paris, ١٨٩٨, P.٢١٠;
فلاح حسن عبد الحسين، بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما اوردها الرحالة الاجانب، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد ٤، ١٩٨٩، ص١٧.

والمسافرين خيار الاستمرار في رحلته الى اعالي الفرات، او التحول الى طريق الفرات الصحراوي بصرة- حلب وذلك بالذهاب اما الى النجف وكربلاء ومنهما السير باتجاه حلب، او الذهاب الى بغداد[٤].ويذكر الرحالة تايلر الذي زار الحلة عام ١٧٨٠ بان طريق بغداد-الحلة جعل من الحلة مدينة تقع على مفترق الطريق الدولي الذي يربط اسطنبول بالبصرة، واكد في رحلته ان المسافة بين بغداد والحلة قطعها بوقت لا يتجاوز ١٦ ساعة و٤٠ دقيقة[١]. ويدلل ذلك ان الطريق بين المدينتين جيد ومؤمن، وفيه مراكز استراحة مما جعل وقت السفر بينهما قصير.تبوأت الحلة مركزاً تجارياً مرموقاً بين مدن العراق الاخرى، وتمثل ذلك بتنوع صادراتها واستيراداتها مع المناطق المجاورة، فقد اشتهرت الحلة بتربية الاصناف الجيدة من الخيول، لذا قامت تجارة نشطة في هذا المجال، وغالباً يتم نقلها بواسطة السفن الى البصرة، وهناك يشتريها تجار البصرة الذين يقومون ببيعها باسعار مرتفعة في الهند[٢]. كما كانت تجارة الحبوب كالرز والحنطة والشعير رائجة في الحلة، وتصدر الى بغداد ومناطق اخرى ضمن قوافل تجارية بوساطة تجار متخصصين[٣]. والملاحظ ان المعلومات عن هذه التجارة تنقصها الارقام المتعلقة بكمية الحبوب المصدرة لعدم وجود الاحصائيات.وكانت تجارة طابوق آثار بابل القديمة مربحة منذ فترات بعيدة، اذ ان هذه التجارة نشطة في اواخر القرن الثامن عشر[٤]، وقد نقلت كميات كبيرة من الطابوق الى بغداد وكربلاء والنجف الامر الذي قاد الى قيام تجارة واسعة ومربحة في هذا المجال[٥].ونظراً لتوفر العوامل الضرورية لتربية الماشية وبقية الحيوانات الاخرى فقد احتلت جزءاً مهماً من تجارة الحلة في عهد المماليك ، فقد اوضح الرحالة سيستياني ان تجارة الماشية والاصواف رائجة وجيدة في الحلة[٦].لأهمية مدينة الحلة التجارية، كانت تقدم اليها قافلة نجدية ضخمة تتألف من ٣-٥ الاف من الابل، حيث يحمل ما لايقل عن ١٠٠ او ٥٠٠ منها بمختلف البضائع من نجد والبصرة، وتقضي في الحلة بضعة ايام تقوم خلالها ببيع قسم من بضاعتها الى تجار بغداد، وتتزود ببضائع اخرى، ثم تسلك طريق حلة-نجف وتنطلق بعدها الى حلب[١].ولعل مثالاً واحداً يدلل على ازدهار التجارة في الحلة، ففي نهاية القرن الثامن عشر، تحوي المدينة (٨٤) مقهى وحانوتاً مرخصاً منتشرة على جانبي النهر، تقدم خدمات للناس، ففي الجانب الشرقي من المدينة يوجد (٥٠) بزازاً، اما في الجانب الغربي فيوجد ثلاثة بزازين فقط، وخمسون خاناً لخزن البضائع والحبوب، عشرة منها تقع على ضفة النهر مباشرة، وجميعها واسعة[٢].ان تحول منطقة الفرات الاوسط الى ساحة قتال في معظم الاوقات ادى الى اضرار بالتجار، اذ اضطرهم أحياناً الى ترك طريق الفرات التجاري ما بين البصرة وبغداد واستبداله بطريق دجلة الذي هو أطول واكثر تكاليفاً[٣].عين المماليك موظفين مسؤولين عن استحصال الرسوم من تجار بغداد والبصرة عن بضائعهم في مدينة الحلة، والتي كانوا يفضلون أرسالها عن طريق الفرات[٤] وتستوفى الرسوم على اساس الطن الواحد من البضاعة بنسب معينة[٥]. ويوجد مركزين كمركيين في المدينة، الاول جنوب المدينة باتجاه طريق الصحراء، أما الثاني فيقع عند مدخل مدينة الحلة الشمالي باتجاه بغداد[٦].ان توفر عوامل الانتاج الكبير في الحلة، وفي المقدمة خصوبة اراضيها، وانتاجها الزراعي الوفير، فضلاً عن وقوعها على شبكة مواصلات برية ونهرية ساهمت في قيام نشاط تجاري واضح مع بقية المناطق المجاور[٧]. كانت الحلة محاطة ببساتين النخيل الكثيفة والليمون والحمضيات والكروم[٨]، وشبهها الرحالة بكنغهام ببساتين دمشق الكثيفة المحملة بالاثمار[٩].ونظراً للظروف السياسية غير المستقرة بشكل عام ، في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، لم تكن تتوفر هنالك اية ضمانة حقيقية لحيازة الارض، وهذا عامل ادى الى انتشار زراعة الكفاف[١]. وعلى الرغم من شق نهر الهندية[٢]، الذي كان الهدف منه ايصال الماء

---

[٤] علي هادي عباس المهداوي، المصدر السابق، ص٦٧.

[١] Tayler, Op. Cit., P.٢٠٩.

[٢] Abraham Parsons, Op. Cit., P.١٤٩.

[٣] Sestini, Code Micien , Voyage De Constant Inople A Bassora En ١٧٨١ Par Le Tigre (et) L Euph rate, Paris, ١٨٩٨.

[٤] أوليفيه، المصدر السابق، ص١٤٦.

[٥] بكنغهام، المصدر السابق، ج١، ص١٣٩.

[٦] Sestini, Op. Cit., P.٢٥٦.

[١] اوليفية ، المصدر السابق، ص١٥١.

[٢] Parsons, Op. Cit., P.١٤٠.

[٣] لوريمر، دليل الخليج ، القسم التاريخي، ترجمة مكتب امير قطر، الدوحة، مطابع علي بن علي، ١٩٦٧، ج٤، ص١٨٨٨؛ علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص١٥٣.

[٤] نيبور، المصدر السابق، ص١٠٠.

[٥] Abraham Parsons, Op. Cit., P١٥٩.

[٦] Sestini, Op. Cit., P.٢٥٦.

[٧] علي هادي عباس المهداوي، المصدر السابق، ص٥٥.

[٨] أوليفيه، المصدر السابق، ص١٤٩.

[٩] بكنغهام، المصدر السابق، ج٢، ص٣٥.

[١] حنا بطاطو، المصدر السابق، ص٩٩.

الى مرقد الامام علي (ع)، والذي كلف اكثر من عشرة لكوك[٣] من الروبيات[٤]، فان الزراعة في مناطق الحلة بقيت ضعيفة[٥].في سنة ١٧٨٦ انقطع المطر عن مناطق الحلة وبقية مناطق العراق، فماتت المزورعات وحصل الغلاء وعجز الفقراء عن الشراء لأرتفاع الاثمان، ومما زاد في الطين بلة انتشار الطاعون في آخر هذه السنة في الحلة وغيرها من مدن العراق، فأضطرت الحكومة ان توزع مخازن الحبوب باقل من السعر المقرر ولم يبق الا ما يكفي الحاجة ومع هذا هاج الناس في الحسكة والحلة والاطراف الاخرى من لواء الحلة فحصل ضيق وزاد الخطر، فلا يمر يوم الا والخطر يزداد ، فاضطر الناس لأكل الكلأ وما هو منهي عنه كالحمير والهرر وغيرها[٦].يبدو واضحاً ان الوضع الاقتصادي في الحلة جيد في ذلك الوقت اذا ما قورن ببقية مناطق العراق الاخرى، فرغم الظروف السياسية العامة المضطربة، وبدائية عوامل الاقتصاد، لكن النشاط الاقتصادي متحرك في المدينة لموقعها المهم، ونشاط تجارها واحاطة المدينة بمناطق زراعية جيدة.

رابعاً: لمحة اجتماعية حلية

طغت السمة العشائرية والقبلية على الحياة الاجتماعية في العراق خلال العهد العثماني، والسبب الرئيس يرجع لكون غالبية السكان من العشائر القاطنة خارج المدن، اذ فرضت الحياة القبلية اعرافها وتقاليدها وسلوكها على مختلف انحاء البلاد، من حيث الاعتزاز بالانساب وروابط القربى والغزو المستمر بين القبائل او محاولات الاخذ بالثائر وغيرها[١]. يضاف الى ذلك سمة العشائرية موجودة في الريف والمدينة وهي نوع من الانتماء القبلي الى مذهب او شخص معين، والفرد العشائري حين يتعصب لعشيرته لا يهتم بما للعشيرة من مبادئ خلقية او روحية ، فذلك امر خارج عن نطاق تفكيره، وكل ما يهتم به هو ما يوصى به التعصب من ولاء لجماعته وعداء لغيرهم[٢]. ويبقى ان نبرز دور الشيخ، في اواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، اذ كان يقوم بوظيفة اجتماعية، ونتيجة لضعف المدن، كان الشيوخ الوحيدون القادرون على تأمين الحماية في تلك الحقبة غير المستقرة، وبعبارة اخرى كانت العشيرة في الريف هي الجماعة الوحيدة المنظمة اجتماعياً، التي كان باستطاعتها ان وقع الاذى ان تنتزع التعويض عنه. وكانت العشيرة والشيخ من الضرورات بالنسبة الى الفلاح العشائري الحلي، ولم يكن باستطاعته ان يستمر في الحياة من دونهما[٣].بلغ الخراب في العراق اسفل دركاته في القرن الثامن عشر، حتى انخفض عدد سكانه كثيراً[٤]، وتضاءلت مدنه كما انحطت الزراعة فيه. بينما انتعشت فيه القبائل المترحلة، وانتقل زمام الحكم فعلياً من يد الحكومة الى ايدي رؤساء الاتحادات القبلية لاشك ان الحكومة كانت سبباً في ذلك الخراب الذي وصل اليه العراق حينذاك، اذ هي كانت متفسخة ومريضة الى ابعد الحدود[١].مثلت زراعة الارض، العمل الاساس للقسم الاكبر من افراد العشائر، ومعظمها كانت عشائر ريفية استقرت في الاراضي الزراعية واشتغلت بزراعتها[٢]. في حين الف قسم قليل منها من العشائر البدوية التي اتجه بعضها نحو الاستقرار والعمل بالزراعة[٣].يوجد هناك تباعد اجتماعي ونفسي بين سكان الريف واهل المدن ، وكان هؤلاء واولئك يختلفون بعضهم عن بعض بطرق كثيرة، فقد كانت حياة المدينة تخضع بشكل عام للقوانين الاسلامية والعثمانية، اما حياة العشائر فكانت تخضع للعادات والتقاليد

---

(٢) نهر الهندية نسبة الى الهندي آصف الدولة الذي حفره لأيصال الماء الى النجف. بدأ يجري الماء فيه بصورة منتظمة منذ عام ١٨٠٠م، وفي عام ١٨٣٠م اصبح من الضروري توجيه قسم من ماء الفرات الى نهر الحلة الذي بدأ يقل ماءه، فحاول علي رضا باشا ونجيب باشا من اجل ذلك انشاء سدة له. وتمكن عبدي باشا من سد الفرات وبناء ناظم قوي من الاجر، وقد تهدم ذلك الناظم عام ١٨٥٤، ثم بنى عمر باشا سداً كبيراً من التراب والحطب فلم يبق الا قليلاً، وما حلت سنة ١٨٨٠ حتى اصبح فرع الهندية مجرى الفرات تقريباً. للتفاصيل: يراجع، احمد سوسة، تطور الري في العراق، بغداد، ١٩٤٦.

(٣) اللك يساوي مئة الف روبية. يراجع سعد كاظم حسن، تاريخ النقود العراقية ١٩٢١-١٩٥٨، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٩٨.

(٤) الروبية، عملة هندية من الفضة، أنتشرت في العراق بعد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٤ واستمرت في التداول داخل الاسواق العراقية حتى عام ١٩٣٢. للتفاصيل يراجع: يعقوب سركيس، المصدر السابق، ص٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٦٣.

(٦) رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص١٨٣-١٨٤؛ عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص٣٩.

(١) عبد الحسين مهدي عواد، الشيخ علي الشرقي حياته وادبه، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، ص١٩.

(٢) علي الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص٦.

(٣) حنا بطاطو، المصدر السابق، ص٩٩.

(٤) لا يوجد احصاء دقيق لسكان العراق، او سكان المدن، لفشل اعمال الاحصاء بسبب عدم وجود الثقة المتبادلة بين الحكومة والشعب، اذ كان التصور السائد للاحصاء على انه السبيل الذي سلكته الحكومة لتجنيد الشباب واستحصال المزيد من الضرائب، فضلاً عما له علاقة بعادات وتقاليد المجتمع، اذ استهجن الناس تسجيل اسماء النساء. يراجع: فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨-١٩١٤، الموصل، مطابع الجمهور، ١٩٧٥، ص ص٩٨-٩٩؛ ستار نوري العبودي، المجتمع العراقي في سنوات الانتداب البريطاني ، طهران، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ٢٠٠٧، ص١٦.

(١) علي الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص١٠.

(٢) عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق. الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص٣٤.

(٣) جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١، ص١٠٣.

العشائرية القديمة. كانت المواقع الطبقية قد تطورت بقوة بين سكان المدن، أما في الريف فما زالت العلاقات أبوية الطابع، وعلى حد تعبير سليمان فائق بك[٤] "أن الكثير من ابناء المدن اصبحوا معتادين على الخنوع والذل"[٥]، بينما كان من المتعذر كبح اكثر رجال العشائر حرية[٦].كانت مدينة الحلة في عهد المماليك مدينة جميلة فيها عدد من الحوانيت والشوارع الجيدة، والاحياء السكنية المنظمة[٧]، وبلغ سكانها، على وجه التقريب، ثلاثين الف نسمة[٨]، لذا فالحياة العامة في الحلة خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر مزدهرة، والسكان يمتهنون التجارة او الزراعة، ويمارسون عمليات البيع والشراء، ويؤلف العرب المسلمون جزءاً اساسياً من السكان، وتوجد ايضاً اعداد من الموظفين الاتراك، اضافة الى اليهود والارمن[١]، والفرس والهنود[٢]، ومعظمها انصهرت في بوتقة عروبة الحلة[٣].أنتشرت الكتاتيب والمدارس الدينية في مدينة الحلة خلال عهد المماليك، لاسيما في الوقت الذي لم يكن للتعليم الحديث في العراق اي أثر[٤]. وتصدى عدد غير قليل من رجال الدين والادب في الحلة الى مهام التعليم لتدريس الطلاب المبتدئين او حلقات تدريس المتقدمين، وكان منهم الشيخ علي العذاري[٥] المتوفي عام ١٨٦٤م[٦]. وكانت المساجد المكان العام الذي يتوافد عليه الناس لأداء فريضة الصلاة او التعلم، فهي بذلك مراكز دينية وتعليمية في آن واحد[٧]. ويذكر عدد من الرحالة اعداد المساجد في الحلة، ويتفقون على ان مسجد الشمس أشهرها[٨].وفيما يتعلق بالصحة فان المماليك لم يهتموا بصحة الناس، ولذلك داهمت الاوبئة والامراض البلاد باستمرار، وقضت على أعداد كبيرة من السكان بين الحين والحين[٩]، ففي عام ١٧٧٢ داهم وباء الطاعون مناطق العراق، ومنها مناطق الحلة، وراح يحصد النفوس حصداً ويفتك بها فتكاً ذريعاً، فطعن الصغير والكبير والنساء والرجال، وتساوى لديه ساكن الكوخ وساكن القصر، فكم من دار اخلاها من ساكنيها، وكم من والد أفقده بنيه، وكم من مولود حرمه امه واباه، ولم ينج منه الهارب كما لم ينج منه المقيم، واستمر يخطف ارواح الناس ستة اشهر مما ادى الى اضطراب الاحوال[١]. وتكرر هذا الوباء في الاعوام ١٧٨٥ و ١٨٠١ و١٨٠٣ وبالقوة نفسها[٢].ومن مسببات هذا المرض عدم الاهتمام بالخدمات الصحية ومنها النظافة العامة للشوارع التي تصبح مستنقعات حين تسقط الامطار في الشتاء ، يضاف الى ذلك تلال واكوام النفايات[٣] التي كانت سبب انتشار الاوبئة والامراض وموت الكثيرين[٤].لم يكن هناك علاج صحي لهذه الامراض، بل أعتمد على الملالي الذين مارسوا الطب اليوناني القديم، ومثل هؤلاء مارسوا علاج معظم الامراض، واشهرهم في مدينة الحلة حسين بن سليمان الحلي[٥] وبعض افراد اسرته[٦].

---

[٤] من ابرز مؤرخي العراق في القرن التاسع عشر، ولد في عام ١٨٠١م وتوفي في عام ١٨٩٦م والده الحاج طالب (كهية بغداد في عهد داود باشا)، ولي سليمان مناصب عدة منها محاسبة لواء المنتفق ومتصرفية لواء البصرة ورئاسة الديوان في بغداد ومناصب حكومية اخرى، له مؤلفات عديدة منها ١. مرآة الزوراء، ٢. حروب الايرانيين، ٣. تاريخ الكولات، ٤. المكاتيب المقدسة، ٥. رسالتان في المنتفق، وله مؤلفات اخرى لا علاقة لها بتاريخ العراق. يراجع : سليمان فائق بك ، تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد، ص ص٣-٨.

[٥] سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص١٧٤.

[٦] حنا بطاطو، المصدر السابق، ص٣٢.

[٧] بكنغهام، المصدر السابق، ج٢، ص٣٥.

[٨] Abraham, Parsons, Op. Cit., P.١٤٠.

[١] Sestini, Op. Cit., P.٢٥٦.

[٢] Navel intelligence Division, Iraq and The Persion Gulf, Oxford, ١٩٤٤, P.٥٣٣.

[٣] علي الخاقاني، شعراء الحلة أو البابليات، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٣، ج٥، ص٣٠٩؛ محمد علي اليعقوبي، البابليات، النجف، المطبعة العلمية، ١٩٥٤، ج٣، ص٢٠٥.

[٤] عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧، بغداد، شركة الطبع والنشر الاهلية، ١٩٥٩، ص١٣٧.

[٥] علي العذاري هو أبو عبد الله الشيخ علي بن الشيخ حسين من أعلام القرن الثالث عشر الهجري، له ديوان شعر ضخم يتحدث عن مختلف مواضيع الحياة، توفي في ٢٦ ذي الحجة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م ورثاه الشاعر المعروف حيدر الحلي بقصيده. يراجع: محمد علي اليعقوبي، المصدر السابق، ج٢، ص ص١٨٣-١٨٤؛ محمد حمزة العذاري، تراجم شعراء العذاري، النجف، دار الضياء، ٢٠٠١، ج٢، ص٣٩.

[٦] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٤؛ علي عوض الحلي، محاضرة الاديب ومسامرة الحبيب، النجف، دار الضياء، ٢٠٠٧، ص٦.

[٧] علي هادي المهداوي، المصدر السابق، ص٤٠.

[٨] ابو طالب محمد خان، المصدر السابق، ص ٢٩٤؛

- Sestini, Op. Cit., P٢٣٥.

[٩] حسن الاسدي، ثورة النجف على الانكليز، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥، ص١٤٢.

[١] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص١٤٣.

[٢] المصدر نفسه، ص٢١٦؛ جعفر خياط، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٠.

[٣] بكنغهام، المصدر السابق، ج٢، ص ص٣٥، ٣٦.

[٤] ستار نوري العبودي، المصدر السابق، ص٣٧.

[٥] كان متوسعاً في علوم الطب، واشتهر بلقب الحكيم، توفي عام ١٨٢٠م. يراجع: عبد الحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي، بغداد، مطبعة اسعد، ١٩٦٧، ص٣٨٦.

[٦] محمد حسن علي مجيد ، الشعر في الحلة بين سنتي ١٨٢٤-١٩١٧، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة بغداد، ١٩٧٧، ص٣٠.

المبحث الثاني الانتفاضات العشائرية في لواء الحلة في عهد داود باشا

اولاً: داود باشا وموقفه من عشائر الحلة قبل تسلمه الحكم:: ولد داود في مدينة تفليس[١] عام ١٧٦٧[٢] من اب يدعى على الارجح بطرس، وفي عام ١٧٨٠ جيء به الى العراق عن طريق اختطاف بعض النخاسين له، او عن طريق الشراء المعتاد، وفي بغداد اشتراه مصطفى بك الربيعي، ثم باعه هذا الى سليمان باشا الكبير الذي كان بحاجة الى تربية عدد جديد من المماليك، وتربى على ذلك النسق الذي وضع منذ ايام حسن[٣] باشا. اعتنق الاسلام، وتعلم القراءة والكتابة والفنون العسكرية في اقصر مدة وبذلك تفوق على اقرانه واكتسب ثقة سيده فاناط به بعض الوظائف والاعمال[٤] ، وقد اظهر اقتداراً في ممارسة امور الدولة الرسمية[٥].كان داود مولعاً بالعلوم، تلقى العلم على يد كبار علماء بغداد، فبرع في الاداب العربية والتركية والفارسية، وفي الرياضيات[٦]. عمل في البداية حارساً لسليمان[٧]، ثم كاتباً خاصاً وامیناً للمفاتيح، وحامل الاختام من بعد ذلك[٨]. واخذ يتقدم شيئاً فشيئاً ويعلو قدره وترتفع في النفوس منزلته وتقلد وظيفة (الخزنة دار)[٩] وهي من أرقى المناصب، واصبح صهراً[١]، فقد كان من سياسة سليمان الكبير ان يسند المناصب الكبرى لأصهاره[٢]. وفي عهد علي باشا عزل داود من وظائفه، ونفي الى السليمانية بوشاية المغرضين، ثم اذن له بالعودة والاقامة الاجبارية في داره[٣]، ثم تقلد منصب الدفتر دار[٤] عدة مرات في عهد سليمان باشا الصغير[٥]، وكذلك في عهد عبد الله التوتنجي[٦]، وكهية ثم دفتردار[٧] في عهد سعيد[٨]. وخلال ذلك كان داود يواصل الدرس والتعلم حتى بلغ في العلوم منزلة تفوق بها على غيره[٩].ان انضمام داود الى سعيد هو اعتراف بجميل سليمان الكبير عليه، اضافة الى علاقة المصاهرة، وقد يكون من الدوافع انه رأى في انضمامه الى سعيد فرصة للحصول على منصب ارقى من المنصب الذي يشغله، ذلك لانه بقي طوال حكم عبد الله ١٨١٠-١٨١٣ في منصب الدفترداریة دون ان يرقى، ويبدو ان انضمام داود الى سعيد كان من العوامل القوية التي شجعت المماليك على ان يتخلوا عن عبد الله[١]، فقد كان داود في ذلك الوقت مشهوراً بانه مدبر وصاحب راي سديد[٢].عمت الفوضى مناطق الفرات الاوسط، ومنها الحلة، اذ انتفضت عشائر الجزيرة والشامية ضد الحكومة

---

(١) تفليس مدينة في جورجيا (كرجستان)، وهي حالياً عاصمة جمهورية جورجيا.

(٢) يرجح الدكتور عبد العزيز سليمان نوار تواريخ اخرى لما ذكرناه مستنداً على آراء مؤرخين عراقيين سابقين، فيقول ان ولادة داود عام ١٧٧٤م، وجيء به الى بغداد عام ١٧٨٤. يراجع: عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ص٤١، ٤٢.

(٣) ولد حسن باشا في مدينة اسطنبول حوالي سنة ١٦٥٧، ولي مناصب عديدة منذ عام ١٦٩٨م، اصبح والي بغداد عام ١٧٠٤م حتى وفاته عام ١٧٢٣م، له اصلاحات كثيرة في العراق وتميز عهده بالهدوء والاستقرار، أشتهر بجلب المماليك الى العراق. لمزيد من المعلومات يراجع: عبد الرحمن السويدي، المصدر السابق، ج١، ص٤ ومابعدها؛ علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ بغداد، بغداد، ١٩٢٩، ص٢٢٠.

(٤) سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص ص١١٦-١١٧.

(٥) ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بيروت، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٤٩، ص٢٢٦.

(٦) علي ظريف الاعظمي، المصدر السابق، ص٢٢٢.

(٧) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٤٢.

(٨) ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٢٢٦.

(٩) جمعها خزنة دارية، وهو الامين الموكل بخزانة الدولة او صندوق المال، وقد يكون هناك في بيوت الاغنياء رجل بهذا الاسم يتولى حفظ الدراهم والحلي الثمينة وغيرها من الاموال. يراجع: جعفر الخياط، المصدر السابق، ص٣٦٠.

(١) تزوج ابنه سليمان باشا الكبير الصغرى، وقد اثار زواجه الحسد والريبة في نفس علي باشا. يراجع: سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص١١٧.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٤٢.

(٣) سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص٤٢.

(٤) دفتردار كلمة فارسية تركية مركبة من دفتر (او سجل) المعرفة، ودار أي صاحب او حامل، ويراد بالدفتردار المسؤول عن الحسابات، ويكون الدفترداریة على ثلاثة درجات، الدفتردار الاول وكان وزير المالية نفسه، والدفتردار الثاني وكان يراقب شؤون الضرائب واستيفائها بموجب النظام الجديد الذي استحدث في عهد سليم الثالث، والدفتردار الثالث وكان يتولى اطعام دار السلطنة. اما في الولاية فهو رئيس موظفي الواردات والخزينة. يراجع، جعفر الخياط، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٠.

(٥) سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص١١٧.

(٦) ستيفن همسلي لوتكريك، المصدر السابق، ص٢٢٦.

(٧) يؤكد احمد جودت في تأريخه ان داود لم يستلم منصب الكهية في عهد سعيد، وانما تسلم منصب الدفتردار، اما عثمان بن سند فيؤكد ان المنصبين الكهية والدفتردار تسلمهما في في عهد سعيد. يراجع: احمد جودت، المصدر السابق، ج١٠، ص١٦٨؛ عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص ص٤٣-٤٤.

(٨) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٦٠.

(٩) سليمان فائق بك، المصدر السابق، ص١١٧.

(١) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٥٣.

(٢) يعقوب سركيس، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥.

سالكين طريق عشائر زبيد والخزاعل، وتبعتهم العشائر النجدية الجربا[٣] والضفير[٤] والرولة[٥]، واقتربت هذه العشائر شيئاً فشيئاً من المدن العراقية كالنجف وكربلاء والحلة[٦].ذكرنا في المبحث الاول ان مجموعة من العشائر حاصرت كربلاء التي كان فيها زوار ايرانيون ، من بينهم زوجة فتح علي شاه وعدد من خاصته، وكان هدف الحصار السلب والنهب، وقد وصلت الفوضى العشائرية الى اطراف بغداد فذعر سعيد باشا لهذه الاحداث وطلب من زوج اخته داود علاج للمشكلة فعينه قائداً للجيش على الرغم من انه عزله من منصب الدفتردار بتأثير الوشايات[٧].ان داود من الرجال الاكفاء استطاع ان يضرب العشائر المتمردة ضربات قوية مزق بها شملهم وانقذ الزوار في كربلاء، ثم ارسل من يحرسهم في سفرهم الى النجف وفي عودتهم الى الكاظمية فأيران[١].وبعد اكمال هذه المهمة سافر الى الديوانية (الحسكة)، وعرج في طريقه الى عشيرة زبيد وعزل شيخها لأخلاله بالامن، وعين بدله شفلح الشلال، واخذ عليه عهداً بوجوب المحافظة على الطريق ونشر الامن في كل مكان. ثم هجم على عشيرة الجبور الواوي[٢] واوقع بها لأعتدائها على الآمنين، وألقى القبض على شيخها، وأستولت الحملة على أغنامهم ومواشيهم واموالهم وارسلتها الى بغداد[٣]، بعد ذلك استقر جيش داود بالقرب من الديوانية ليتفرغ لعشائر الخزاعل التي امتنعت عن دفع الضرائب منذ عهد علي باشا، لكن الخزاعل انتابهم الخوف من شدة داود، فجاء شيوخهم ومنهم محسن الغانم الى معسكر داود معلنين الطاعة ودفعوا جزءاً من الضرائب التي بذمتهم، مما ادى بداود العفو عنهم، والعودة بجيشه الى بغداد[٤].رغم النجاحات التي حققها داود، والتي انتشرت اخبارها في كل البلاد المجاورة، الا ان العلاقة بين داود وسعيد لم تستمر على ما يرام ، ثم انقطعت تماماً في نهاية المطاف، ويسرد لنا المؤرخ سليمان فائق قصة عزل داود من مناصبه، إذ "ان سعيد كان ضعيفاً امام ارادة امه التي اصرت على عزله، وذهبت محاولاته في الدفاع عن حسن اختياره داود لمنصب الكهية او الدفترداري ادراج الرياح، وكانت الام لا تفهم النتائج السياسية المترتبة على عزل داود، فقد كان الرجل في نظر سعيد افضل من غيره، وكان عزله ينفر المخلصين ويفرقهم عن الباشا، ولما كان داود صهر الباشا، استغل سعيد هذه العلاقة لأقناع الام، لكن تحطمت محاولاته امام اصرار أمه"[٥]، يضاف الى ذلك وشاية المغرضين الذين ابعدوا سعيد عن داود بتلفيق الاخبار عن طمع داود بالسلطة ، مما ادى الى اتخاذ اجراءات ضد داود الذي هرب الى السليمانية طلباً للحماية[١].استطاع داود في مطلع عام ١٨١٧ ان يتسلم السلطة في بغداد، ويقتل سعيد وكبار مساعديه، فأخذ ثأره وانتقم اشد انتقام[٢]، ويبدو واضحاً ان داود كان سائراً على اساليب من تقدمه من الولاة، فلم يعن برسم خطة اصلاحية تحول القبائل الى حياة مستقرة[٣].ومن المفيد ان نذكر هنا ان داود استمر في حكم العراق الى عام ١٨٣١م، ثم تسلم مناصب اخرى عدة، خارج العراق، حتى وفاته عام ١٨٦٧م.

ثانياً: الحركات العشائرية الحلية في عهد داود

١. حركة صادق بك:: كان صادق وصالح ابنا سليمان الكبير يعيشان بكرم في رعاية داود، الذي اراد التكفير عن ذنبه بقتل اخيهما سعيد. لكن صادق اخذت نفسه تحدثه باعتلاء كرسي الحكم بمعونة من ابناء العشائر العربية في الجنوب كما فعل اخوه سعيد من قبل[٤]. ولاشك ان القبائل العربية كان لها طموح في الحكم وادارة

---

[٣] الجربا من عشائر شمّر، وهم عشائر طائية قحطانية، ومنهم امراء شمر بقيادة فارس الذين جاءوا الى العراق في اوائل القرن الثالث عشر الهجري، وبلدتهم الاساسية حائل التي تقع بين جبلي أجا وسلمى، ومن امرائهم آل رشيد الذين انتصر عليهم آل سعود. للتفاصيل يراجع: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص ص١٢٧-٢٥٧.

[٤] الضفير من اشهر قبائل نجد والعراق والقسم الكبير منها في الجانب الغربي من الفرات بين الزبير وانحاء السماوة، ولها مكانتها المعروفة، دخلت العراق في القرن الثالث عشر الهجري، وهم في الاصل قبائل متعددة تضافرت وكونت مجموعة تمكنت من المحافظة على كيانها. للتفاصيل يراجع: المصدر نفسه، ج١، ص ص٢٩٥-٣٠٤.

[٥] الرولة من عشائر عنزة من آل أسلم، وهم من قبائل نجد والعراق ولهم عدة افخاذ، ذكرهم احد المؤرخين بانهم اطول باعاً في الكرم ورعي الذمم، والمواساة للعائل، والارتكاب للفضائل، والطعن في المضايق. للتفاصيل يراجع: المصدر نفسه، ج١، ص ص٢٧٨-٢٨٤.

[٦] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٦٣.

[٧] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٢٠؛ علي الوردي، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٥.

[١] علي الوردي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥.

[٢] من عشائر زبيد الاصغر المنبثة في انحاء عديدة من العراق. ولها كثرتها في مجموعات. ومن نصوص عديدة انها تمت الى عمرو بن معدي كرب الزبيدي. والقربى متواترة بينهم وبين العزة والدليم والعبيد، وكانت صيحتهم واحدة وان القربى القريبة والبعيدة كلها تؤيد صلة النسب وتواجد جبور الواوي في مناطق الموصل والحلة. للتفاصيل يراجع: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٣، ص ص٧٧-٩٧.

[٣] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٦٤؛ عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٢١.

[٤] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٦٥.

[٥] سليمان فائق بك، تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، ص٤٥.

[١] سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص١١٧.

[٢] سليمان فائق بك، تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، ص٥١.

[٣] يوسف كركوش، ، المصدر السابق، ج١، ص١٣٤.

[٤] جعفر الخياط، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٥.

الدولة، في حين ان المماليك ينظرون اليهم بوصفهم متخلفين في شؤون الادارة. يضاف الى ذلك ان حركة صادق بك دلت على ان ذلك العصر كان عصراً مليئاً بالشكوك والمؤامرات والخيانات دون مراعاة للمصلحة العامة[٥].وبعد اتصالات ومداولات سرية بين صادق بك وبعض القبائل العربية وفي مقدمتها زبيد، اعلن صادق بك ثورته على داود في ربيع عام ١٨١٨، يؤازره فريق من القبائل العربية وعلى رأسها زبيد وشيخها شفلح الشلال، وكذلك جمع من العبيد يتزعمهم جاسم الشاوي[١]، وعشائر الخزاعل[٢]. أخذ هذا الحلف العشائري يعبث بامن البلاد ويثير القلاقل فيها، فقطعت الطرق النهرية ما بين بغداد والبصرة، ونهبت القوافل في كل مكان من منطقة الفرات الاوسط، وظلت الحال على هذا المنوال عدة أشهر، وازداد اتباع صادق بانضمام الناقمين والساخطين اليه، فنشأ عن ذلك وضع خطير في بغداد[٣].رغم الوضع الحرج الذي تمر به البلاد بسبب تقدم القوات الايرانية باتجاه بغداد[٤]، واضطراب الامن في المنطقة الكردية ، قرر داود ان يضرب صادق ومجموعته بسرعة، وينهي خطرهم، فعهد الى كهيته محمد[٥] أغا[٦] ان يتولى الامر بالسرعة الممكنة. وأصدر امره بعزل الشيخ شفلح وتنحيته عن مشيخة عشائر زبيد، ثم نصب مكانه خصمه علي البندر وشجع العشائر من حوله بتشكيل حلف قوي بوجه صادق بك وشفلح الشلال، وبالفعل تشكل ذلك الحلف الذي سلحه داود بافضل الاسلحة، وقدم له مختلف المعونات، فاخذوا يضايقون صاق بك واتباعه ويتعقبونهم حتى تقابل الفريقان في مكان يقال له خشيخشة[٧]، فجرت فيه معركة حامية الوطيس انتصرت فيها قوات الحكومة على اتباع صادق بك، وفر صادق وحلفاؤه الى جهات عفك والتجأوا الى شيوخها، ثم تحصنوا في الاهوار المنيعة الكائنة في تلك الجهات[١].بقي الامن مضطرباً في منطقة الفرات الاوسط عدة اشهر، وظل صادق بك ومجموعته متحصنين في الاهوار، حتى استطاع داود باشا بعد ان اتم تسوية الامور مع ايران ان يبعث بقواته الى الاهوار تحت قيادة عبد الله اغا بلوك باشي[٢] الخيالة لملاحقة صادق واتباعه واستطاع تضيق الخناق عليهم. ولم تمض سوى ايام معدودة حتى قدم شفلح طلباً الى داود يتعهد فيه التخلي عن صادق بك وجاسم الشاوي مقابل العفو عنه واعادته الى مشيخته، فوافق داود على ذلك وارسل اليه الخلعة[٣] مع امر المشيخة، وعندئذ ترك الشيخ جماعته[٤].ونفر من صادق بك بعض اعوانه بسبب ما كان يقوم به من اعمال، كما ان شيوخ عشائر عفك[٥] كفوا أيديهم عن مؤازرته، وفارقه جاسم الشاوي مع بعض اتباعه فبقي متحيراً في أمره، وبكل عناء ومشقة تمكن من الوصول الى الحويزة ومنها توجه الى قبيلة كعب[٦] وبقي هناك عدة اشهر ، ثم عفا عنه داود[٧].

٢. تطورات عشائرية اخرى

في اول عام من تسلمه الحكم، امر داود كهيته محمد اغا غزو عشير اليسار[١] التي تسكن بالقرب من مدينة الحلة، لان هذه العشيرة خرجت عن الطاعة، وقامت بغزو عشائر مجاورة لها، فأغار عليها جيش داود

---

[٥] عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٨٢.

[١] جاسم الشاوي من شيوخ العبيد، وهو أديب وذو مكانة رفيعة بين القبائل العربية، والمماليك برز دوره بعد وفاة اخيه سليمان الشاوي عام ١٧٩٧، اختلف مع المماليك في كثير من المسائل وشارك ضدهم في عدة معارك، يراجع: ابراهيم فصيح الحيدري، المصدر السابق، ص٨٥ ومابعدها.

[٢] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٨٤؛ احمد جودت، المصدر السابق، ج١١، ص٣٠.

[٣] عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص ص٢٥٥-٢٥٦.

[٤] لمتابعة تقدم القوات الايرانية تجاه بغداد. يراجع: كريم مطر حمزة، معاهدة ارضروم الاولى ١٨٢٣ قراءة في الاسباب والنتائج، مجلة بابل للعلوم الانسانية، عدد خاص عن المؤتمر العلمي الاول لكلية التربية/ جامعة بابل، ١٨-١٩/ شباط / ٢٠٠٧.

[٥] سنتناول شخصيته في المبحث الثالث.

[٦] أغا كلمة تركية الاصل تعني السيد او الموظف من الدرجة الوسطى ، وقد يكون عسكرياً او ملكياً، او مستخدماً في بيت عظيم الشأن. يراجع : ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٣٤٥.

[٧] خشيخشة منطقة زراعية جنوب الحلة يمين ناحية الحمزة الغربي ويسار ناحية الدغارة في الجانب الشرقي من شط الحلة.

[١] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٨٥؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص٢٥٦.

[٢] بلوك باشي هو آمر كتيبة الخيالة. يراجع: جعفر الخياط، المصدر السابق، ج١، ص٣٥٩.

[٣] خلعه كلمة عربية تعني بزة الشرف. يراجع : ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٣٤٦.

[٤] احمد جودت، المصدر السابق، ج١١، ص٣٣؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص٥٦.

[٥] عفك مجموعة عشائر ترجع اصولهم الى باهلة، ونخوتها باهل، وسكناهم منطقة الدغارة شمال مدينة الديوانية، وهم عشائر عديدة، كما ان هناك عشائر منقرضة كانت تابعة لهم. يراجع: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٤، ص ص١٥٥-١٦٠.

[٦] بنو كعب من القبائل القديمة من ربيعة، وهم عشائر كثيرة كانت في العراق، فمالت الى الحويزة، وكانت الحويزة من العراق فسيطرت عليها ايران، وتكونت امارة كعب في ايران التي انتهت على يد رضا شاه عام ١٩٢٥. يراجع : مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لأمارة عربستان ١٨٩٧-١٩٢٥، القاهرة، ١٩٧١.

[٧] عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٨٣.

[١] اليسار من عشائر طي الكبيرة، ويرجع اصلهم الى سنبس، مناطق سكناهم الرئيسة في الحلة في المهناوية والمحاويل، وينتشر اليسار في مختلف مناطق العراق وبلاد الشام، كما انهم ينقسمون الى عدة افخاذ. يراجع عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٣، ص ص٢٥٣-٢٥٨.

واستولى على اغنامها واموالها، واستأصل خطرها[٢]. وفي العام نفسه اخذت عشيرة الصقور[٣] بالاعتداء على مناطق الفرات الاوسط، خلافاً للعهد الذي اتخذه احد شيوخهم امام داود بانهم لا يعتدون على مدن وقبائل الحلة والحسكة عند دخولهم اليها للرعي والأكتيال. وكانت هذه العشيرة قد جاءت من بلاد الشام واستقرت غرب مدينة المسيب، ولكن الصقور لم يلتزموا بوعدهم لداود واخذوا يعبثون بأمن منطقة الحلة[٤]، ذكر عثمان بن سند اعتدائهم بالقول "ما أبقت من الفساد طريقاً الا سلكت و لا غرزاً من العناد الا به استمسكت"[٥]، فأرسل داود قوة عسكرية بقيادة الخزنة دار يحيى أغا لأنهاء خطرهم، ولكن المعركة التي جرت في جرف الصخر[٦] انتصر فيها الصقور وانهزم جيش الحكومة[٧]، مما أدى بداود التريث في بعث جيش جديد للصقور الى حين تهيأ الظروف الملائمة.كانت هزيمة جيش الحكومة باعثاً على ازدياد تعديات عشيرة الصقور ومشجعاً لها على توسيع دائرة غزواتها، وحذت بعض عشائر الحلة حذوها، فتمردت عشائر عفك وجليحة[١] والفتلة[٢]، واخذت عشيرة الضفير تهدد زوار العتبات المقدسة[٣].قرر داود معالجة هذه الاوضاع بالقوة، فأرسل محمد أغا الكهية بقوة كبيرة نحو الصقور وجليحة وعفك، وبالقرب من مدينة الكفل[٤] التقى ببعض رؤساء الصقور وكانوا ثمانية عشر شيخاً، فأخذهم معه حتى الكوفة، وهناك القى القبض عليهم وارسلهم مقيدين الى بغداد[٥]. ثم تحركت نحو عشائر عفك، وفي هذه الاثناء قدم احد شيوخ عنزة ومعه اربعة الاف رجل على ظهور الجمال للاكتيال، ولما علمت الخزاعل والبعيج[٦] باقترابهم خرجوا عليهم لاخذ الثأر، وبالقرب من الديوانية جرت معركة بين الطرفين اشتد فيها القتال، وقدم الطرفان خسائر فادحة، وبما ان الطرفين من اعداء الحكومة، فقد شنت قوات محمد أغا هجوماً على الطرفين وكبدتهما خسائر جسيمة في الارواح وغنمت اموالهما واغنامهما وجمالهما[٧]. ويبدو واضحاً ان هدف المماليك هو فرض الامن في مناطق الفرات الاوسط والضرب بقوة على تحركات العشائر، ولكن هذه السياسة لم تنجح ازاء عشائر لا تعرف سوى الغزو وعدم الاستقرار[٨]. تابع الكهية زحفه قاصداً عشائر جليحة وعفك وغيرهما، وبعد معارك عنيفة ومتعددة، استطاع محمد أغا ان ينزل بعشائرها الهزائم ويشتتها، وارسل كتاباً الى داود يعلمه بالانتصارات، فكانت لهذه الاخبار موقع ارتياح نال بها الكهية اعلى الاوسمة تقديراً لشجاعته. وقد فرضت على كل من عشيرة جليحة والفتلة غرامة مقدارها خمسون الف قرش احيل امر استيفائها الى شيخ الخزاعل الذي تعهد بذلك، ثم عاد الكهية الى بغداد في عام ١٨١٩م[١].رغم ان داود كان مثقفاً، ويحب العلم والادب، وينزع الى العمران ، لكن في حكمه لا يختلف عن سابقيه من الولاة المماليك، خاصة تجاه العشائر العربية، فقد كان يعدها قبائل وحشية دأبها السلب والنهب، والحق ان هذه القبائل كانت تعيش على الفطرة ولم تتصور حياة مثلى، ولم يرسم لهم حكامهم منهجاً يرفع مستواهم الى حياة راقية[٢].كان الاجدر بالمماليك ان يرسموا خطة اصلاحية للعشائر تهدف الى استقرارهم وتوظيفهم في الاراضي الزراعية، ويساعدونهم على تمليكها وزراعتها، وينظموا الضرائب بحيث لا تكون ثقيلة على كاهلهم[٣]. ويبدو واضحاً ان مثل هذه الافكار الاصلاحية والتقدمية غير موجودة في عقلية المماليك، فبقيت الفوضى وفقدان الامن في منطقة الفرات الاوسط لعدم استقرار العشائر واصلاحها.

المبحث الثالث حركة محمد الكهية وتطوراتها في الحلة

---

[٢] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٣٢.

[٣] الصقور من العشائر التي يرجع اصلها الى قبيلة عنزة، ولهم فروع عديدة، وهي عشائر بدوية لم تستقر في مكان ثابت، ولها تاريخ واضح في العراق. يراجع: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص ص٢٧٠-٢٧٢.

[٤] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٨٨.

[٥] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٣٥.

[٦] جرف الصخر منطقة محاذية لنهر الفرات شمال مدينة المسيب بحدود ٢٠ كم، وهي حالياً ناحية تابعة لقضاء المسيب التابع لمحافظة بابل.

[٧] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٨٨؛ علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص١٦٠.

[١] جليحة اصل مواطنها مع عشائر عفك، ويرجعون الى كنده، ونخوتهم (جليحة) ويسكنون اراضي (رجيبة) في الهندية، وللعشيرة فروع عديدة ، واعمالهم الاساسية زراعة الشلب. يراجع: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٤، ص ص١٦٠-١٦٢.

[٢] الفتلة من عشائر الدليم الكبيرة، المعروفة ، تقادم انفصالها، جدهم الاعلى جمعة، وسكنت مواطن عديدة كالغراف والديوانية والمشخاب، ولهم فروع عديدة، وتاريخ ملئ بالاحداث العسكرية والاقتصادية. يراجع: المصدر نفسه، ج٣، ص ص١٤٣-١٥١.

[٣] عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص ص٢٥٧-٢٥٩.

[٤] الكفل ناحية تابعة للحلة وتبعد عنها ٣٠ كم جنوباً.

[٥] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٨٩؛ عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٣٦.

[٦] البعيج هؤلاء من الدعيج. ويمتون بقربى الى الاجود، ومنهم من يقول ان اصلهم من عنزة من الفدعان، ومنهم من يعزوهم الى زبيد وانهم يرجعون الى الجحيش، وآخرون يقولون انهم ال سويد من عنزة، نخوتهم (دعي) ، ولهم فروع كثيرة. يراجع: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٤، ص ص٨٣-٨٦.

[٧] رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٩٠.

[٨] عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص١٠٠.

[١] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص ص١٣٧-١٣٨؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص ص٢٦٣-٢٦٥.

[٢] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص٢٣.

[٣] المصدر نفسه، ج١، ص١٢٤.

اولاً: موجز عن حياة محمد الكهية قبل اعلان حركته:: كان محمد أغا من اشراف قبيلة الاباضية، وابوه يسمى زهراب، ولما تولى علي باشا اباضة ولاية بغداد أتى به أليها واسند له بعض المناصب مثل منصب (الدويدار)[١]، وتقلد على عهد سليمان باشا الصغير وظيفة (قبو جيلر كهية سي)[٢]، ولكنه توقف تقدمه وترفيعه كسائر الموظفين من امثاله على عهد سعيد باشا، ثم فر من بغداد والتحق بداود باشا حيث عينه بعدئذ بوظيفة الكهية[٣].وفي عام ١٨٢١ أوكل اليه داود باشا قيادة الجيش المتوجه الى كركوك لصد القوات الايرانية التي تتدخل دائماً في شؤون كردستان[٤]، ولكن لم يلبث ان انهزم محمد الكهية في المعركة مما تسبب في انكسار القوات التي كان يقودها في قتاله ضد القوات الايرانية[٥]، فخشي من نقمة داود عليه، فآثر ان يفر الى المعسكر الايراني ، فدفعه الايرانيون وعلى رأسهم محمد علي ميرزا[٦] الى المطالبة بالحكم وأيدوه بقواتهم[٧].أكدّ المؤرخ رسول حاوي الكركوكلي المعاصر للاحداث ان محمد الكهية بعد هذه المعركة اخذ يشجع القائد الايراني على الهجوم، وتقدم محمد علي ميرزا فعلاً وهو في ركابه نحو كركوك فقابلته جموع الاهلين وصمدوا بوجهه، ودافعوا دفاع المستميت عن بلدتهم، ولما أعياه أمرها، ولم تفد مع سكانها ترغيباته وترهيباته عسكر حواليها، ثم تركها واتجه الى داقوق، وبعدها ارتحل الى طوزخورماتو ثم الى كفري فقره تبه، واخيراً وصل دلي عباس[١] وعسكر هناك، وكان هدفه من هذا التقدم احتلال بغداد بتشجيع من محمد الكهية[٢].وكان داود باشا قد كتب الى اسطنبول بجميع هذه التطورات ومنها خيانة محمد الكهية الذي اصدر محمود الثاني[٣] بحقه حكم الاعدام[٤]. وقد اتخذ داود كل ما بوسعه لصد القوات الايرانية ومنعها من التقدم. واخذت الاحتياطات اللازمة في مدينة بغداد بصورة خاصة للمحافظة عليها، وجعل على كل رابية او باب من ابوابها قوة من المشهورين بالاخلاص والتفاني والشجاعة والاقدام[٥]. وكانت القوة التي يقودها محمد الكهية قد اغارت على القرى ونهبت منهم اربعون الف رأس غنم وخربوا بساتين هبهب والخالص وخريسان[٦].ويبدو ان طول الانتظار ولدّ ملالاً لدى الجيش الايراني، وقوات محمد الكهية بصورة خاصة اذ انقسمت قواته، فالتحق قسم منهم بالجيش الايراني، والقسم الاخر هجمت عليه عشائر شمر واوقعت بهم خسائر فادحة بالارواح والمعدات[٧]. يضاف الى ذلك انتشار مرض الكوليرا بين الجند الايراني الذي راح ضحيته الآلاف من الجنود بما فيه قائدهم محمد علي ميرزا، ثم ان الحرب تحتاج الى اموال طائلة للصرف على شؤونها، فرأوا ان السلم هو الاصلح وكتبوا بذلك الى داود الذي وافق[١]، وعلى ضوء المحادثات بين الجانبين، وموافقة عباس ميرزا[٢] ومحمود الثاني عقدت معاهدة ارضروم الاولى[٣] في ٢٨ تموز ١٨٢٣ واوقفت الحرب بين الطرفين لسنوات محدودة[٤].

---

(١) الدويدار لقب طبقة من اصحاب المناصب المدنية العليا على عهد المماليك ، وفي ايام السلاطين العثمانيين القدماء، وتتركب من كلمة دوي جمع دواة، ودار أي حامل او صاحب، فيكون معناها حامل الدواة. يراجع: جعفر الخياط، المصدر السابق، ج١، ص٣٦١.

(٢) قبو جيلر كهية سي أي كهية البوابين في الاصل، من الموظفين الكبار في الولاية. يراجع المصدر نفسه، ص٣٦٣.

(٣) سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص١١٩.

(٤) للتفاصيل عن التدخلات الايرانية في كردستان يراجع: محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية، ترجمة الملا احمد الروزبياني، بغداد، ١٩٥١.

(٥) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص١٠٧.

(٦) محمد علي ميرزا ابن فتح علي شاه وحاكم ولاية كرمنشاه بين عامي ١٨٠٥-١٨٢١، كان ذا طمع واسع ورغبة شديدة في السيطرة على العراق، وقاد عدة حملات عسكرية عليه. لمزيد من المعلومات يراجع: أ. ك. س لمبتون، ايران عصر قاجار، ترجمة سيمين فصيحي، طهران، انتشارات جاودان، ١٣٧٥هـ، ص٨٩.

(٧) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٨٥.

(١) دلي عباس هي ناحية المنصورية حالياً في محافظة ديالى شرق بغداد.

(٢) رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٩٨.

(٣) محمود الثاني السلطان العثماني الثلاثون، حكم بين عامي ١٨٠٨-١٨٣٩، وكان من السلاطين العثمانين الاقوياء في القرن الاخير من عمر الدولة العثمانية، اشهر اعماله قضائه على الانكشارية عام ١٨٢٦ وتشكيل جيش جديد، كما كان صراعه مع محمد علي حاكم مصر وتدخل الدول الاوربية لصالحه من مميزات عهده. للتفاصيل يراجع: احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، بيروت ، دار الشروق، ١٩٨٢، ص ص١٨٧-١٩٧.

(٤) عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٤٥.

(٥) رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٩٩.

(٦) عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٤٥؛ رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٩٩. ومن الجدير بالذكر ان هبهب وخالص وخريسان اصبحت مدن وهي حالياً مراكز نواحي تابعة لمحافظة ديالى.

(٧) رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٩٩.

(١) عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٤٦.

(٢) عباس ميرزا ولي عهد فتح علي شاه والابن الثالث له، ولد عام ١٧٨٨ وتوفي عام ١٨٣٣، ترك انطباعاً جيداً لدى الرحالة الاجانب، ويعتبره المؤرخون اعظم امير قاجاري، مركز حكمه مدينة تبريز عاصمة اذربيجان شمال ايران. يراجع عبد الله رازي ، تاريخ مفصل ايران أز تأسيس سلسلة. مادتا عصر حاضر، طهران، ١٣٣٥هـ، ص٤٧٣. ولمزيد من المعلومات عن نشاطات عباس ميرزا العسكرية وبالنص العربي يراجع: كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٥، ص ص٩-٧٣.

(٣) عقدت هذه المعاهدة في مدينة ارضروم شرق الاناضول بين ايران والدولة العثمانية، وكانت نتيجة لحرب استمرت لثلاث سنوات وعلى جبهتين، الجبهة الشمالية في ارضروم، والجبهة الجنوبية في العراق. للتفاصيل عن المعاهدة يراجع:
- Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, New York, ١٩٥٦;

ثانياً: الظروف التي هيأت للحركة في الحلة

ألتقت اهداف الحليين مع تطلعات محمد الكهية في التخلص من حكم داود، رغم ان لكل منهما ظروفه الخاصة، ويبدو ان هذا اللقاء سيكون مؤقتاً لو كتب للحركة النجاح لان كل منهما برنامجه الخاص، فكان محمد الكهية طامع في ولاية بغداد، وقد شجعه على ذلك والي كرمان بجيوشه[٥].ويبدو ان الكهية اراد ان تتكرر الحالة التي وصل بها عبد الله أغا[٦] الى السلطة عام ١٧٧٦ وبمساعدة المماليك وتوصله الى الحكم[١]، يضاف الى ذلك ان محمد الكهية حصل على اتباع كثيرين من المجازفين والعصاة والقبائل المستعدة على الدوام لنزع النير الحالي عنها[٢].شجع الوضع المتردي والمنهار في الدولة العثمانية محمد الكهية على حركته، فكانت القوة الروحية ضعيفة بسبب الغزوات الايرانية، فضلاً عن ما تعانيه بغداد وباقي مدن العراق ومنها الحلة من ارتفاع الضرائب الجديدة الذي اخذ داود باشا يجمعها من اجل ارضاء اسياده في اسطنبول[٣].وانفرد احد المؤرخين برأي مغاير عن سبب خيانة الكهية ، فأكد "أن محمد الكهية كان شجاعاً مقداماً وقديراً في تأدية واجبات وظيفته، ولكنه من ناحية ثانية كان مغفلاً لا يميز بين ما ينفعه وما يضره ولا بين العدو والصديق، وتغلب عليه السذاجة وسلامة القلب"[٤]. ومن خلال ما ذكرناه، وما سنذكره لاحقاً، ان هذا الرأي غير صحيح، فالكهية اراد استغلال الظروف المؤاتية له لتحقيق اهدافه.وفيما يتعلق بالحليين فان لهم ظروفهم الخاصة، اذ لاقوا الاضطهاد من حكامهم المماليك، فكان اهل الحلة ينظرون الى حكامهم هؤلاء نظرة كراهية، فيرونهم لصوص لا هم لهم الا اخذ الضرائب والاستيلاء على خيرات بلادهم دون ان يقوموا بخدمة عامة تعود على البلاد بالخير مثل انشاء المستشفيات والمدارس وتنظيم مدينتهم وحفظ الامن في ربوعهم[٥].كان حاكم الحلة في السنوات الاولى من عهد داود سليمان اغا، وكان هذا متعسفاً ظالماً شديداً على اهل الحلة وعشائرها حتى قيل عنه "ان بيك الحلة وحاكمها سليمان اغا كان قد نصب على باب دائرته جذعاً، وكان يأمر جلاوزته ان يصلبوا كل من يسخط عليه من أهل الحلة"[٦]، وعندما رأى تضامن الحليين ومراقبتهم لأعماله عزا ذلك الى الشيخ موسى بن العلامة الشيخ جعفر كاشف الغطاء[١] وعده خطراً على أمن الحلة وسلامتها، فطلب من الشيخ موسى الخروج من الحلة بأهله، وقد استاء اهل الحلة من هذه السياسة الهوجاء لسليمان اغا[٢].وهناك جملة أسباب اخرى ساهمت في الاعداد لهذه الحركة منها شخصية الكهية الضعيفة وهو احمد اغا المجنون[٣]، فضلاً عن رعاية بذور الثورة بين العشائر الحلية ونضجها، خاصة بعد الحلف المقدس بين هذه العشائر في العتبات المقدسة في كربلاء الذي ربط جميع عشائر الحلة بعهد مقدس من اجل مساندة الحركة[٤].اعطى المؤرخون ثلاثة آراء حول حركة محمد الكهية، الرأي الاول يقول ان ايران وراء هذه الحركة[٥]. ولا نستبعد ان تكون ايران قد هيأت الظروف الملائمة لمحمد اغا وساعدته عسكرياً، وهي الدولة الطامعة بالعراق. الرأي الثاني ان اهل الحلة هم الذين استدعوا محمد الكهية الى مدينتهم ليساندوه في حركته[٦]، خاصة وانه من قادة المماليك ، ومن خلاله يحققون اهدافهم، وهذا

- كريم مطر حمزة ، المصدر السابق، ص ص٣٢-٣٤.

[٤] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٤٦؛ رجاء حسين حسني الخطاب، العراق والصراع العثماني الفارسي، بغداد، شركة مطبعة الاديب المحدودة، ٢٠٠١، ص ص١٤٠-١٤٢.

[٥] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١١٦.

[٦] لم يستطع عبد الله أغا انقاذ البصرة من التدخلات الايرانية، فندمت السلطة في اسطنبول على تعيينه والياً. واصيب الوالي بداء السل ولذا لم يستطع مزاولة شؤون الدولة، فنصبت (عجم محمد) مكانه، توفي بعد ان حكم بغداد مدة سنتين. يراجع: سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص٤٨؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٦، ص ص٦٥-٧٤.

[١] ستيفن همسلي لونكريك ، المصدر السابق، ص٢٣٥.

[٢] عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص٢٨٨.

[٣] تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، ترجمة زينة جابر ادريس، بيروت، ٢٠٠٦، ص٤٠.

[٤] سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص٢٠.

[٥] يوسف كركوش، المصدر السابق، ص١٢٤.

[٦] محمد حسن آل كاشف الغطاء، العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية (مخطوط، مؤسسة كاشف الغطاء، النجف، ورقة ١٣٣.

[١] الشيخ موسى مؤلف وفقيه معروف، وقد استعان به محمد علي ميرزا خلال مفاوضاته مع داود باشا عام ١٨٢١. للتفاصيل عنه وعن اسرة كاشف الغطاء يراجع: محمد المهدي بحر العلوم، الفوائد الرجالية، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، طهران، مكتبة الصادق، ١٣٦٣هـ، ج١، ص٣٧ ومابعدها.

[٢] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣٥.

[٣] احمد أغا هو أخو داود باشا، عندما جاء الى بغداد كان عمره ثلاثين سنة، درس الاداب الاسلامية على أيدي المصلحين، عين آمراً لبلدة أربيل ثم متسلماً للبصرة مع رتبة (ميرميران)، وبعد اعتزال الحاج طالب الخدمة عين بمنصب الكهية بمكانه، ولم يمض عليه الا بضعة اشهر ووافاه الاجل المحتوم، وهو شخصية ضعيفة. يراجع: سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص١٢٢.

[٤] ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٢٣٥.

[٥] احمد لطفي، تاريخ لطفي، اسطنبول، ١٢٩٠هـ، ص١٢٥.

[٦] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص ١٤٦؛ يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣٦.

الرأي صحيح لاستياء اهل الحلة من حكامهم. الرأي الثالث ان حمود الثامر شيخ المنتفق هو الذي استدعى محمد الكهية الى العراق وطلب منه الثورة، وانه يساعده في ذلك[٧]، وهذا الرأي وارد لموقف حمود المعارض لحكم داود.ويبدو ان الآراء الثلاثة المذكورة آنفاً صحيحة، وقد اجتمعت هذه الاطراف نحو هدف واحد هو تغيير الحكم في العراق دون ان تكون لهم برامج سياسية موحدة.

ثالثاً: تطورات الحركة ونهايتها

بعد عقد الصلح بين ايران والدولة العثمانية عام ١٨٢٣، رأى محمد الكهية ان لا فائدة من بقائه في ايران، لذلك قرر دخول العراق، ربما بمشورة القادة الإيرانيين، واستطاع ان يكون له اتباع بعد اندماجه بالعشائر القاطنة على الحدود، وقام بالاغارة هنا وهناك، ويتحرش بهذا وذاك[١]، وخلق الفوضى في مناطق جنوب بغداد، وقد وجد الكهية ان افضل مكان لتقبل حركته ومساندتها هي مدينة الحلة، ففي عام ١٨٢٤ اغار محمد الكهية على الحلة واستولى عليها، وادعى ولايته العراق فألتفت حوله بعض العشائر العراقية وقام اهل الحلة بمساعدته[٢].يبدو ان اختيار محمد الكهية لمدينة الحلة مركزاً لحركته جاء بعد مناقشات مع اطراف عدة، فموقع الحلة يكتسب اهمية لقربه من بغداد، والسيطرة عليها يمهد السيطرة على مركز الولاية، اضافة الى وجود عشائر قوية ناقمة على داود مثل عشائر زبيد والخزاعل والتي كان يرجو مساعدتها له عند البدء بحركته.ان التفات بعض العشائر الحلية ومنهم الجشعم وال حميد[٣] وآل رفيع وغيرهم من أهالي الحلة شجعت محمد الكهية على الطموح بالولاية[٤]. وبذلك تكاثر جيش الكهية، وصار الهجوم على بغداد وشيكا[٥]، وعندما وصلت الاخبار الى داود باشا جهز جيشاً كبيراً بقيادة الكهية احمد اغا لملاقاة جيش محمد الكهية، وقد التقى الجيشان قرب الحلة، ولكثرة جيش محمد الكهية واستماتتهم في الدفاع عن المدينة رجح كفته وتمكنوا من كسر شوكة جيش احمد اغا مما زاد من عزيمة الحليين[١].يبدو ان داود باشا بعث اكثر من جيش الى الحلة انتهت بالفشل[٢] قبل ان يستدعي الحاج طالب[٣] ليقوم بهذه المهمة، ويرجعه الى منصبه السابق الكهية.استطاع الحاج طالب ان ينظم الجهاز الاداري للحكومة، وان يحشد قوة عسكرية جذب اليها المماليك القدماء والمعتزلين الى الخدمة من جديد، بعد ان عفي عن ذنوبهم، واستعمل الدبلوماسية والدعاية بين القبائل الحلية لتفريقها عن محمد الكهية[٤]. وقد سار الحاج طالب بجيشه الى الحلة والتقى بجيش محمد الكهية المؤلف من خمسة الاف مقاتل بالقرب من المدينة، فثارت الحرب بينهم، وحمى الوطيس، واستمر القتال بين الفريقين[٥]. وكان للدعاية التي بثها الحاج طالب فعلها اذ انفض عن محمد الكهية كثير من جيشه، خاصة الجشعم، وللعقيليون[٦] دور حاسم في هذه المعركة استطاعوا اثناءها عبور نهر الفرات الى المدينة، رغم قطع الجسر، واستولوا عليها[٧].قام العقيليون باعمال قتل واضطهاد وتشريد واسعة بأهالي الحلة، كما قاموا بسلب وتخريب البيوت، وبعد استقرار الموقف في الحلة انسحبت قوات داود باشا بقيادة الحاج طالب تاركة في الحلة قوة عسكرية من العقيليين[٨].اتبع العقيليون شتى انواع الاضطهاد بسكان الحلة، فمسوا شعائرهم الخاصة بما اشاعوا من الدعايات ضد اهل الحلة، فلم تطق نفوس الحليين بمظالمهم فرفعوا العصيان على الحكومة[١]، حيث حاصر اهل الحلة بمساعدة

---

[٧] عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص٢٨٩.

[١] سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص١٢٠؛ ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٢٣٥.

[٢] يوسف كركوش، ، المصدر السابق، ج١، ص١٣٦؛ علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص١٠٧.

[٣] آل حميد من غزية ترجع اصولها الى هوازن، وهي من العشائر العدنانية وهؤلاء قسم منهم بدو رّحل، والقسم الاخر شبه مستقرين في الريف في القرن التاسع عشر، تواجد افراد العشيرة الرئيسي في المناطق الوسطى من العراق بين الحلة وجنوب السماوة، ويتكون هؤلاء من افخاذ كثيرة. يراجع عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٣، ص ص٥٤-٥٩.

[٤] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٥٧؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص٢٨٨.

[٥] ستيفن همسلي لونكرك، المصدر السابق، ص٢٣٥.

[١] عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص٢٩٨.

[٢] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣٦.

[٣] ينتمي الحاج طالب الى اسرة كرجية (جورجية)، وكان قد جاء به سليمان باشا الكبير الى بغداد وعلمه القراءة والكتابة، عين في عدة وظائف منها (أنختارجي)، (مهردار)، (أيج جوقدار)، وعهدت اليه امارة الحلة في عهد عبد الله التوتنجي، ثم تقلد عدة مناصب حتى عين بمنصب الكهية في عهد داود، للتفاصيل يراجع: سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص ص١٢٠، ١٢١.

[٤] ستيفن همسلي لونكرك، المصدر السابق، ص٢٣٦.

[٥] عثمان بن سند البصري الوائلي، المصدر السابق، ص١٤٦.

[٦] العقيليون يرجع أصلهم الى عشائر آل حميد من غزية، وهي من العشائر العدنانية، مساكنهم الحالية قرب ناحية قلعة سكر في محافظة ذي قار، وقد ذكروا في عدة مصادر في العهد العثماني . يراجع: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٣، ص٥٩.

[٧] عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص٢٨٨.

[٨] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣٧.

[١] علي كاشف الغطاء، الحصون المنيعة في طبقات الشيعة، مخطوط مكتبة كاشف الغطاء، النجف، ورقة ٤٠٠.

العشائر المحيطة بالمدينة الحامية العقيلية في احدى خانات الحلة المسمى (الحشاشة)[٢]، واقتحموا هذا الخان وحاصروا العقيليين ودخلوا عليهم وقتلوا وأحرقوا من في ذلك الخان[٣]. وبقيت الحلة بعد هذه الحادثة بيد اهلها يحكمها الزعماء منهم، ولم يبق للسلطة العثمانية فيها اثر يذكر[٤].كان رد الفعل لدى الحليين سريعاً وقوياً لما لا قوة من ظلم العقيليين ، وقبلهم الحكام المماليك ، ولكن كانت معظم خطوات اهل الحلة عفوية دون تخطيط، وهي نتيجة لظلم وكبت نفسي، يضاف الى ذلك ان تكاتف سكان المدينة لم يكن قوياً الا في ايام محدودة، بل في اكثر الاحيان تجد التنافس والخصومات بين الاسر الحلية لأسباب سياسية واقتصادية.وعندما وصلت الاخبار الى داود بما فعله الحليون بالحامية العقيلية، جهز جيشاً كبيراً آخر لدخول مدينة الحلة والاستيلاء عليها، وعندما علم اهل الحلة بذلك استعدوا وتحصنوا في مدينتهم وتمكنوا من صد الجيش وعدم دخوله الى الحلة، الا ان الاضطراب الذي اصابهم لعدم تنظيم خططهم الدفاعية جعلهم يفرون من المعركة، ويعبرون نهر الفرات الى الجانب الغربي ويحرقون الجسر، لمنع قوات داود من الدخول الى المدينة، ولكن قوات داود دخلت الى الحلة ووقعت فيها كل ما يخزي حيث انها قتلت وهدمت واحرقت حتى خرج الناس فارين من بيوتهم الى اطراف الحلة[٥].

عانى الحليون كثيراً من هذه التطورات العسكرية، وفقدوا عدداً من ابنائهم ومعظم ممتلكاتهم على يد الجيش المملوكي، او على يد العشائر المجاورة، فتذكر المصادر ان قسماً من سكان الحلة التجأ الى قبيلة الجشعم دخيلاً، بعد دخول جيش داود الحلة، ولكن آل جشعم لم يقوموا بما اقتضت اليه الاخلاق العربية من اكرام الضيف وحماية الدخيل فسلبوهم وآذوهم وعاملوهم باضطهاد[١].

بعد مدة من الزمن عفا داود عن اهل الحلة واذن لهم بالرجوع الى مدينتهم، ولما رجعوا الى بلدتهم اخذوا ينتهزون الفرص للايقاع بقبيلة الجشعم التي يرون فيها السبب الاساسي لخسائرهم ودخول جيش داود لمدينتهم، واتفقوا مع الحكومة في الايقاع بهم، فحاربوهم واجلوهم عن ديارهم[٢]. وهذا يؤكد فقدان السيطرة المركزية لحكومة بغداد، واتباع سياسة التفريق بين سكان المنطقة الواحدة.

وفيما يتعلق بمحمد الكهية فانه فر من مدينة الحلة، بعد خسارة جيشه، والتجأ الى حمود الثامر شيخ المنتفق، لكن حمود اعتذر له، فواصل مسيره الى الحويزة والتجأ الى قبيلة كعب. وبتحريض من داود باشا قتل محمد الكهية عام ١٨٢٩ من قبل اتباعه[٣]، وبذلك طوى التاريخ شخصية مملوكية من اهم الشخصيات التي رفعت راية الثورة ضد داود مستغلاً التذمر العام للسكان من سوء الادارة للمماليك.

المبحث الرابع المجتمع الحلي في عهد داود باشا

اولاً: مجتمع المدينة:: كانت الحلة اكبر مدينة في العراق –بعد بغداد والبصرة- ، ووصف احد الرحالة المدينة ان جوامعها حسنة البناء، واسواقها واسعة وثرية، وهناك سور واطئ اقيم على سطح مائل تحيط به الابراج الى امتداد القمة، وتطوقه الحصون تنطلق منها المدفعية لحماية المدينة من هجمات البدو، كما ان منزل الحاكم فيها محصن تحصيناً قوياً. اما الابنية الاخرى فهي نظيفة. ومعظمها مشيدة بالاجر المجلوب من خرائب بابل المجاورة[١].تأرجحت تقديرات سكان مدينة الحلة في عهد داود، فمنهم قدرها بـ(٢٥) الف نسمة[٢]، وآخر قدرها بـ(٤٠) الف نسمة[٣]، بينما يقدرها آخر بـ(١٠) الاف نسمة[٤]. وللظروف السياسية والعسكرية ، خاصة عندما ثارت الحلة عام ١٨٢٤ مع محمد اغا[٥]، او للظروف الصحية السيئة وانتشار الاوبئة لها اثرها في انخفاض عدد سكان المدينة[٦].مجتمع مدينة الحلة متعدد الديانات، جاء ابناء الدين الاسلامي في المرتبة الاولى، ومن حيث العدد شكلوا الغالبية العظمى من السكان، تليهم بقية الديانات الاخرى كاليهود والنصارى، وفرضت ظروف التقارب والاختلاط في الحياة الاجتماعية على الحليين من مختلف الطوائف سمة التعايش والتألف مما

---

[٢] الحشاشة خان اتخذ في فترات موقع عسكري للعثمانين، وهو الان بالقرب من جسر الهنود، وسمى بالحشاشة نسبة الى الحشيش الذي يقدم علف للحيوانات وهو موجود في هذا الخان بيعاً وشراءً. يراجع: محمود ابو خمرة، كنور الماضي، مخطوطة باليد غير منشورة ، مكتبة كلية التربية، جامعة بابل، ١٩٩٣، ص١٠.

[٣] محمد حسن كاشف الغطاء، المصدر السابق، ورقة ٣٦.

[٤] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣٧.

[٥] المصدر نفسه، ج١، ص١٣٧.

[١] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣٧.

[٢] المصدر نفسه، ج١، ص١٣٧.

[٣] سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص١٢٠؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٦، ص٢٨٩.

[١] جيمس ريموند ولستيد، رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا ، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٤، ص١٢.

[٢] المصدر نفسه، ص١٣.

[٣] المنشئ البغدادي، رحلة المنشئ البغدادي، ترجمة عباس العزاوي، بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٤٨، ص٩٠.

[٤] Fraser, J. Bollie, Travels in Koordistan, Mesobtamia, Vol.١, London, ١٨٤٠, P.١٥.

[٥] Mignan, Capt Robert, Travels in Chaldea, London, ١٨٥٧, P.١٢١.

[٦] Fraser, Op. Cit., P.١٥; Skinner, M. A Journey Overland to India, Vol.٢, London , ١٨٦٣, P.٢١٦.

وفر فسحة من الاستقرار[٧]. وتجدر الاشارة الى ان المدينة ضمت اخلاطاً من اقوام وامم اخرى، اضافة الى العرب، الا انهم كانوا باعداد ونسب قليلة من مثل الفرس والهنود[١]، فقد عاشت في الحلة بعض العوائل ذات اصول فارسية، بعد ان قدمت من ايران في اوقات مختلفة من القرن التاسع عشر[٢]، ولكنها انصهرت في بوتقة عروبة الحلة، اذ اصبح ابناء تلك العوائل من مشاهير الشعراء الحليين في القرن نفسه[٣].وأستوطنت الحلة اسر وعوائل وافراد جاءوا من مختلف انحاء العراق، مدنه وقراه، ومنها على سبيل الاشارة بغداد، الشرقاط، هيت، عانة ، كبيسة، تكريت، سامراء وكركوك، فضلاً عن بقية مناطق العراق، وقد دفعت الناس في تلك الاماكن نحو الهجرة، جملة من العوامل في مدد مختلفة، وبالمقابل كانت هناك عوامل جعلت من الحلة مدينة جاذبة للسكان وربما يأتي الجانب الاقتصادي في مقدمتها، سواء من ناحية انتعاش التجارة ام بتوفر فرص العمل الى غير ذلك من مزايا وعوامل الاجتذاب التي امتازت فيها مدينة الحلة[٤].وقد سميت احياء في مدينة الحلة باسماء هؤلاء المهاجرين مثل محلة (الهيتاويين) نسبة الى المهاجرين من مدينة هيت الذين هاجروا الى الحلة في مطلع عهد داود[٥].تميز هذا العهد بتضامن الحليين وتكوينهم جماعات اتحدت فيما بينهما لمقاومة حكامهم الجائرين، هذا العهد انتشرت فيه الداودين والاندية، كان يأوي اليها اهل الحلة في اوقات فراغهم، يسمرون فيها ويقضون فيها خصوماتهم بشكل يرضي المتخاصمين ويعيد الصفاء بينهم[٦].وبرغم هذا التضامن لكن اليهود انكفأوا في حارات خاصة بهم، قلما اختلطوا بالاخرين الا عند الضرورة وفيما يتعلق باعمالهم واشغالهم التجارية[١]، ومن المسلم به انه انعزال طوعي، لم يقتصر ذلك على الحلة، بل حدث في اغلب المدن العراقية الاخرى ايضاً، وقد سكن يهود الحلة في حارة تعرف بـ(عكد اليهود او بوابة اليهود) تقع في الجانب الكبير من الحلة في محلة الجباويين[٢]. وهي ذات ازقة ضيقة ضمت كنيس للصلاة ومكاناً لتعليم الصبيان وبعض حوانيت الصاغة والبقالين وباعة الحاجيات، وهناك ابواب لمنافذ الحارة كافة، فضلاً عن باب خشبي متين على المدخل الرئيس وجميعها تغلق في المساء، وعند الطوارئ[٣].ووصف الرحالة الاجانب الذين زاروا الحلة في عهد داود تصرفات الحليين بين المدح والقدح، فمنهم من ذمهم[٤]، وآخرون مدحوهم لضيافتهم وسمو اخلاقهم[٥]، هذه الملاحظات التي ذكرها الرحالة الاجانب عن اهل الحلة لا يمكن قياسها على كل سكان المدينة، ففي كل زمان ومكان هناك الفاضل في تصرفاته وآخر ضده، واشتهر عن الحليين سمو اخلاقهم العربية الاسلامية.

ثانياً: ريف الحلة:: يتميز ريف الحلة بطابعه العشائري، فمثلت العشيرة او القبيلة وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية مستقلة، في المجتمع القبلي ككل[٦]، وافراد العشيرة ينتمون او يعتقدون انهم ينتمون الى اصل مشترك واحد، تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية، أي الدم للاهل والعشيرة، فهي بذلك مصدر للقوى السياسية الدفاعية التي تربط افراد العشيرة الواحدة وتعمل على صيانة المجتمع وحفظ كيانه[٧] الا ان عنصر الارض شكل احد الاعتبارات الاساسية للعشائر المستقرة، وغالباً ما كان احد الاسس المهمة في الصراع والتنافس بين العديد من تلك العشائر[١].وقد نظمت القبائل والعشائر شؤونها الداخلية العامة بعيداً عن السلطة المركزية، بنوع خاص من التنظيم الاداري والقضائي والانتاجي والاجتماعي والسياسي، معتمدة على التقاليد والاعراف التي يعلق عليها بـ(السواني)[٢] وليس على القوانين المدنية والجزائية[٣].النظام القبلي، بشكل

---

(٧) احمد عبد الصاحب الناجي، الحياة الاجتماعية في لواء الحلة خلال مرحلة الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الحرة في هولندا، ٢٠٠٨، ص٣٤.

(١) Navel Intelligence Division, Op. Cit., P.٥٣٣.

(٢) استقدمت اسرة آل دانيال اليهودية فلاحين من ايران للعمل في اراضيهم الزراعية في المهناوية. يراجع: احمد سوسة، حياتي في نصف قرن، بغداد، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٦، ص١١٧.

(٣) علي الخاقاني، المصدر السابق، ج٥، ص٢٠٩؛ محمد علي اليعقوبي، المصدر السابق، ج٣ ق١، ص٢٠٥.

(٤) مصطفى الواعظ، الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر، الموصل، مطبعة الاتحاد، ١٩٤٨، ص ص١٨٨-١٩٣.

(٥) احمد عبد الصاحب الناجي، المصدر السابق، ص٣٩.

(٦) يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٢٤.

(١) فيصل محمد الأرحيم، المصدر السابق، ص١٢١.

(٢) انور شاوؤل ، قصة حياتي في وادي الرافدين، القدس، مطبعة الشرق العربية، ١٩٨٠، ص٢٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) بكنغهام، ، المصدر السابق، ج٢، ص٣٧.

(٥) المتشئ البغدادي، ، المصدر السابق، ص٩.

(٦) عماد احمد الجواهري، تاريخ مشكلة الاراضي في العراق، دراسة في التطورات العامة ١٩١٤-١٩٣٢، بغداد، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨، ص٦٢.

(٧) صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨١، ج١، ص١٥٢.

(١) فيصل محمد الأرحيم، المصدر السابق، ص ص٦٥-٦٦؛ عماد احمد الجواهري، المصدر السابق، ص١٠٦.

(٢) السواني لفظة عامية مشتقة من (السنة)، والسنن أي الاعراف هي مجموعة قوانين متعارف عليها وغير مدونة، متعلقة بالخصومات الجنائية، والعادات والتقاليد التي نظمت الحياة الاجتماعية. يراجع: عبد الحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص٣٤.

عام، قائم على اساس العلاقات الاجتماعية المبنية على وحدة الدم او (العصبية)، وهو الاساس الاول والمتين للعلاقة بين افراد هذا النظام، ومع استمراره مدة طويلة من الزمن اكتسب القدرة على مواجهة الاخطار الدائمة، وبعبارة اخرى كانت العشيرة نظاماً حياتياً متكاملاً للفرد والجماعة في اطار المجتمع الريفي[٤].ان التكوين العشائري وما يتميز به من عادات يجعل من الصعب على افراد العشيرة الخضوع للحكومة وقوانينها اذ ان ولاءه العشائري يقتصر على عشيرته وشيخه[٥].وفي اغلب الاحيان ردّ المماليك على تحديات العشائر، معتمدة على اسلوبين الاول الحملات العسكرية المباشرة الرامية على اخضاع العشائر بالقوة، والاخر استخدام سياسة التفتيت القائمة على مبدأ (فرق تسد)، فاستغلت وضع العشائر ابان تعقيدات الحياة المعيشية في ريف الحلة الناجمة بسبب تغير مجرى نهر الفرات، لتفكيكها واضعافها عن طريق اشاعة الفرقة بينهما، وكذلك بمساندة بعض شيوخ العشائر ضدهم[٦].كان النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي السائد قبل منتصف القرن التاسع عشر، أي قبل عمليات الاندماج بالسوق الرأسمالية العالمية وتحول الشيوخ والمتنفذين الى ملاك للاراضي الزراعية، قائماً على نظام العشيرة والقبيلة التي قام من خلالها الشيخ بدور الاب الروحي لجميع افراد العشيرة[١]، وبموجب ذلك كان جميع الافراد متساوين في الحقوق والواجبات والاراضي الزراعية في ديرة العشيرة التي عمل فيها الجميع وعدوا مالكين حق التصرف فيها في حين كانت ملكيتها المطلقة للدولة، كما لم يكن افراد العشيرة ملاكاً فرديين او عمالاً لها، وانما كانوا مزارعين في ارض مشاعة بينهم[٢].أستمرت علاقات الشيوخ بافراد عشائرهم كما كانت عبر المراحل التأريخية السابقة، مما اعطى نتائج متميزة لاولئك الشيوخ في زعامة التنظيمات الاجتماعية العشائرية في وقت واحد كما هو الحال في منطقة الفرات الاوسط[٣].كانت قيمة الرجل في نظر اهل الريف تقاس بمقدار ما يبدي من نخوة وسخاء في عشيرته من جهة، وما يظهر من شجاعة واقدام في غزو الاخرين من الجهة الاخرى، وتتضح هذه القيم في سلوك معظم اهل الريف الى حد كبير[٤].ويبدو واضحاً ان ريف الحلة لم يستقر في عهد المماليك،ـ ومنه عهد داود ، بسبب الحركات العسكرية التي تقوم بها حكومة بغداد ضد القبائل الثائرة[٥]، يضاف الى ذلك سلوك الاغوات المقربين من الحكومة الذين يشترون الاراضي الجيدة، او يغتصبونها من مالكيها، وبصورة دائمة دون محاسبة من الدولة مما ولد حالة من الفوضى وعدم الاستقرار في ريف الحلة[٦].من خلال ما ذكرناه اعلاه، كان هناك تباعد أجتماعي ونفسي بين سكان المدينة وسكان الريف، وكان هؤلاء واولئك يختلفون بعضهم عن بعض بطرق كثيرة، فقد كانت حياة سكان المدينة تخضع بشكل عام للقوانين الاسلامية والعثمانية، اما حياة اهل الريف فكانت تخضع للعادات والتقاليد العشائرية القديمة المصبوغة بصبغة اسلامية، وكان بعض سكان مدينة الحلة، وخصوصاً شريحة المتعلمين منهم، قد خضع لتأثير الثقافة التركية[١] ولتأثير الثقافة الفارسية. اما العشائريون في الريف فقد نجوا من هذه التأثيرات كلياً، وكانت المواقع الطبقية قد تطورت بقوة الى حد ما في المدينة، اما الريف فكانت العلاقات مازالت ابوية الطابع[٢].كانت العشيرة في الريف هي الجماعة الوحيدة المنظمة اجتماعياً التي كان يمكنها ان تقي من الاذى، وكان باستطاعتها ان وقع الاذى ان تنتزع التعويض عنه. وحتى سكان البلدان الريفية الصغيرة كانوا يدرجون انفسهم كأعضاء في اقرب عشيرة اليهم بالرغم من انهم لا قرابة لهم بها. وكانت العشيرة والشيخ من الضرورات بالنسبة الى الفلاح العشائري، ولم يكن باستطاعة الفلاح ان يستمر في الحياة من دونهما[٣].سكنت العشائر الرحالة على شواطئ نهر الفرات، وهي عشائر نصف متحضرة، قسم منها زاول الزراعة وكان يرتحل بعد انتهاء موسم الحصاد، فيما استقر نهائياً قسم آخر في القرى والارياف، ولكنها احتفظت بعاداتها وتقاليدها البدوية[٤].

---

[٣] المصدر نفسه، ص٣٤.
[٤] ستار نوري العبودي، المصدر السابق، ص٣٦.
[٥] علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص١٤٨.
[٦] حنا بطاطو،المصدر السابق،ص١٠٠؛ وميض جمال عمر نظمي، ثورة العشرين الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، بغداد، المكتبة العالمية، ١٩٨٥، ص٣٩.
[١] جاسم حسين الصكر، الدور السياسي لشيخ العشيرة في العراق في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢ دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الحرة في هولندا، ٢٠٠٨، ص١٣.
[٢] ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٤١.
[٣] غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، لندن، دار السلام، ١٩٨٨، ص٤٠.
[٤] علي الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص٧.
[٥] ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٢٣٩.
[٦] المصدر نفسه، ص٢٤٠.
[١] حنا بطاطو، المصدر السابق، ص٣٢.
[٢] المصدر نفسه، ص٣٢.
[٣] المصدر نفسه، ص٩٩.
[٤] متي عقراوي، العراق الحديث، ترجمة المؤلف ومجيد خدوري، بغداد، مطبعة العهد، ١٩٣٦، ج١، ص١٧.

ثالثاً: التعليم والثقافة

انتشرت الكتاتيب والمدارس الدينية في مدينة الحلة خلال العهد العثماني، لاسيما في الوقت الذي لم يكن للتعليم الحديث في العراق أي اثر[٥] ، وتصدى عدد غير قليل من رجال الدين والادب في الحلة الى مهام التدريس سواء الطلاب المبتدئين او حلقات تدريس المتقدمين[١].ولم تقتصر دراسة الحليين على المرافق التعليمية في الحلة انذاك، وانما تلقى الكثير منهم علوم الدين واللغة في خارجها، وكانت النجف محطة مهمة في التعليم الديني لابناء الشيعة الذين راموا مواصلة التحصيل الدراسي والاستزادة من العلم[٢]، اذ كانت النجف والحلة تتبادلان التاثير احدهما في الاخرى من الناحيتين الدينية والادبية[٣]، في حين كانت وجهة الحليين من ابناء السنة الى المدارس الدينية في بغداد[٤]، واهتمت بعض العوائل اليهودية الثرية بتعليم ابنائها القراءة والكتابة لدى المعلمين الخصوصيين[٥].والحقيقة ان التعليم اقتصر على فئات معينة من سكان المدينة، وهو محدود بالقياس الى عدد سكان الحلة، كما ان الريف لم تكن فيه أي توجهات للتعليم وباي شكل من الاشكال.لازم التعليم في مدينة الحلة ازدهار حركة ادبية، منذ مطلع القرن التاسع عشر، رغم الانحطاط السياسي للبلاد، فكانت الحركة الفكرية صدى لما يساور النفوس من تذمر لتأخر الحياة السياسية والاقتصادية، وكان علماء الدين يشجعون الادباء والشعراء ليقفوا بوجه المماليك، وقد اقتدى بهم اهل الثراء من سكان المدينة فكانوا يجزلون العطاء للشعراء والادباء[٦]. هذا بالاضافة الى ظهور قوة عشائرية بزعامة الخزاعل على المسرح السياسي تسند هؤلاء الشعراء والادباء اذا نابتهم عن السلطة نائبة[٧].يعد ظهور الاسرتين الادبيتين آل نحوي وآل سيد سليمان في الحلة نواة للنهضة الادبية الحلية[١]. ويأتي في مقدمتهم الذين عاصروا داود باشا السيد حسين بن سليمان المتوفي عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م، له شعر كثير منه قصيدة في رثاء الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفي عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٢ منها:

أيدري الدهر أي علا ازالا وأي دعام دين أمالا
فقدنا جعفراً والعلم حتى كان العلم كان له خيالا[٢]

كما ان سليمان بن داود بن سليمان الملقب بالصغير المتوفي سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١ بالطاعون له شعر كثير منه:

أرى العمر في صرف الزمان يبيد ويذهب لكن ما نراه يعود
وإياك ان تشري الحياة بذلة هي الموت والموت المريح وجود[٣]

ومن الادباء والشعراء الحليين الذين اشتهروا في عهد داود مهدي بن داود بن سليمان (١٨٠٧م-١٨٧٢م) ، له مؤلفات عديدة وشعر كثير منه:

وكم ذي معال بات يخفض نفسه فاضحى عن عليائه النسر يقصر
تصاغر حتى عاد يكبر قدره ويكبر قدر المرء من حيث يصغر[٤]

ويعد محمد بن الخلفه اديباً شاعراً، يعرب الكلام على السليقة، توفي بالطاعون سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، له شعر في رثاء السيد سليمان منه:

فليلبس العلم والدين الحنيف معاً بردى حداد لحزن غير محدود[٥]

كما كان حبيب المطيري اديباً، له شعر في رثاء مصطفى كبة سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م ومنها:

أكذا الجبال الشم بعد علوها يعلو على هضباتها ترب البلى[٦]

---

[٥] عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص١٣٧.
[١] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٤؛ محمد حمزة العذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٣٩.
[٢] محمد علي اليعقوبي، المصدر السابق، ج٣، ق٢، ص٧؛ حسن الحكيم، النجف الاشرف والحلة الفيحاء صلات ثقافية عبر عصور التاريخ، النجف، مطبعة الغري الحديثة، ٢٠٠٦، ص٧٤ ومابعدها.
[٣] حسن الاسدي، ثورة النجف على الانكليز ، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٧٥، ص٣٢.
[٤] يونس الشيخ ابراهيم السامرائي، تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، بغداد، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ١٩٨٢، ص١٨٥.
[٥] احمد سوسة، حياتي في نصف قرن، ص١٠٩.
[٦] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٤.
[٧] عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية، بيروت، مطابع دار لبنان، ١٩٧٢، ص٤٢.
[١] محمد مهدي البصير، نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٤٦، ص١٢.
[٢] محمد علي اليعقوبي، المصدر السابق، ج٣، ق٢، ص٧٠.
[٣] المصدر نفسه، ص٧٥.
[٤] محمد حسن علي مجيد، المصدر السابق، ص
[٥] علي الخاقاني، المصدر السابق، ج٥،ص٢١٠.
[٦] محمد علي اليعقوبي، المصدر السابق، ج٣، ق٢،ص٦٨.

كان الادب والشعر انعكاساً للواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المدينة، وهو دليل على احتفاظ المدينة بعروبتها وتراثها الحضاري رغم وسائل الضغط الحضاري وبالذات من الاتراك والفرس.

رابعاً: الواقع الصحي

لم تكن حكومة المماليك مهتمة بصحة الناس بأي شكل من الاشكال، ولذلك داهمت الاوبئة والامراض البلاد باستمرار وقضت على اعداد كبيرة من السكان بين الحين والحين[١]. ففي عام ١٨٢١م وفد على العراق من الهند مرض الهيضة (الكوليرا)، وانتشر في بداية الامر في المدن الواقعة على الخليج العربي، ثم سرى الى البصرة وحصد من سكانها ما بلغ الخمسة عشر الفاً، ثم سرى شمالاً حتى وصل الحلة وحل ضيفاً ثقيلاً فيها[٢].وفي آخر عهد داود ظهر الطاعون بالعراق وذلك في شهر آذار عام ١٨٣١م، وقد فتك هذا الوباء بالناس فتكاً ذريعاً. مات من سكان بغداد ثلثاها، وقد بقي من سكان مدينة الحلة، الذي يبلغ عددهم بحدود (١٠) الاف نسمة، عدد قليل جداً[٣].كان داود باشا يفاتح السفارة البريطانية في بغداد اثناء موجة الاوبئة القاتلة لايجاد دواء لهذه الامراض، وقد قدمت الحكومة البريطانية ببعض الادوية المضادة مع النصائح والارشادات للتوقي منه، وزودت بغداد بمعلومات مفصلة، وترجمت تلك المعلومات من اللغة الانكليزية الى اللغة التركية وارسلت الى الجهات المختصة لدراستها وتطبيقها والعمل بموجبها[٤].كان سكان مدينة الحلة، والمدن الاخرى ، يقفون عاجزين تجاه ما كان يداهمهم من امراض واوبئة بين حين وحين لانعدام وجود الرعاية الصحية، وفقدان الخدمة الطبية للناس، فكثيراً ما كان يداهم الطاعون البلاد فيحصد النفوس فيها حصداً وينتشر في ارجائها عرضاً وطولاً فلا يفارقها الا بعد ان يكون قد أتى على معالم الحياة العفية فيها، وقضى على نسبة كبيرة من سكانها[١] .لم تكن الخدمات الصحية معروفة في مدينة الحلة، ومدن العراق الاخرى، وكان لأهمال رفع النفايات وعدم الاهتمام بالنظافة[٢] سبب في انتشار الامراض او موت الكثيرين[٣].اعتمد سكان الحلة في تلك الازمنة على الاطباء الملالي او الاطباء اليونانيين أي الشيوخ الذين مارسوا الطب اليوناني القديم، كذلك على الحلاقين[٤]، وبعبارة اخرى ان فئة الاطباء والجراحين تألفت من الحلاقين والعطارين والعرافين والكحالين والحجامين ورجال الدين والسادة والمشايخ وكبار السن والقابلات والسحرة والدجالين والمشعوذين، وعالج اولئك مختلف الامراض[٥]. ومن الجدير بالذكر ان الواقع الصحي في ريف الحلة، في عهد داود، لا يختلف كثيراً عن المدينة، لكن وطأة الامراض اقل فيها مما هو عليه في المدينة، وخاصة الاوبئة الفتاكة مثل الطاعون والكوليرا.

المبحث الخامس التطورات الاقتصادية في الحلة ١٨١٧-١٨٣١

اولاً: النشاط التجاري:: لمدينة الحلة مركز تجاري مرموق بين مدن العراق الاخرى، وقد تمثل ذلك بتنوع صادراتها واستيراداتها مع المناطق الاخرى، نتيجة لتوفر عوامل كثيرة ساعدت على جعل مدينة الحلة تحتل تلك المكانة[١]، كان منها موقعها الجغرافي والاستراتيجي في آن واحد كونها منطقة وسطاً بين بغداد وأعالي الفرات والبصرة فالخليج العربي[٢]، اذ ان موقعها على نهر الفرات قد اكسبها اهمية تجارية كبيرة لان التجار كانوا يفضلون استخدام طريق الفرات النهري على طريق دجلة النهري لضرورات امنية متوفرة على نهر الفرات لكثرة القرى والمدن على ضفتي الفرات مما ساعدت على اطمئنان التجار وسلامة النقل على بضائعهم وانفسهم، وفائدة مادية لتوافر النقل غير المكلف في طريق نهر الفرات وقلة الاتاوات التي تؤخذ من التجار من قبل بعض العشائر القاطنة على نهر الفرات لحماية قوافلهم من التعرض لقطاع الطرق وكذلك ظاهرة طبيعية تمثلت بان نهر الفرات اقل عنفاً في موسم الفيضان من نهر دجلة مما ساعد على الطمأنينة والاستقرار

---

(١) مويس ديرهاكوبيان، حالة العراق الصحة في نصف قرن، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨١، ص٣٥.
(٢) ستار نوري العبودي، المصدر السابق، ص٣٣.
(٣) يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣٩؛ حنا بطاطو، المصدر السابق، ج١، ص٣٥.
(٤) رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص٢٨٩؛ علي الوردي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٢.
(١) جعفر خياط، المصدر السابق، ص٢٧٩.
(٢) اكد الرحالة البريطاني جيمس ريموند وليستيد الذي زار الحلة في عام ١٨٣١ ومكث فيها عدة ايام، ان شوارع الحلة غير نظيفة تكثير فيها الاوساتخ والقذارات، وهي بيئة صالحة لانتشار الامراض. يراجع: جيمس ريموند وليستيد، ، المصدر السابق، ص١٤.
(٣) ستار نوري العبودي، المصدر السابق، ص٣٣.
(٤) حسن الاسدي، المصدر السابق، ص١٤٢.
(٥) ستار نوري العبودي، المصدر السابق، ص٣٣؛ احمد عبد الصاحب الناجي، المصدر السابق، ص٥٨.
(١) سروليس بدج، رحلات الى العراق، ترجمة فؤاد جميل، بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٦٨، ج٢، ص٢٠٣.
(٢) سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة، بغداد، مطبعة المعرفة، ١٩٥٤، ص٤٢.

والوصول بسلام[٣].وقد تنوعت تجارة الحلة لكثرة المبررات التي شجعت على ذلك، فتجارة الخيل العربية الاصيلة منها والهجينة كانت رابحة، خاصة وان مناطق الحلة تربي الخيول التي تمتاز بالرشاقة والجري السريع، ولهذا ازداد الطلب عليها منذ مطلع القرن التاسع عشر في بغداد والبصرة والهند لاستخدامها في الصيد والسباقات الرياضية، وفي القتال ايضاً[٤].ويبدو ان رخص اسعار الحبوب في الحلة كان سبباً في تزايد الطلب عليها والرغبة بشرائها وهو ما أدى الى قيام تجارة نشطة في هذا المجال، ويتضح من المعلومات التي زودتنا بها بعض المصادر ان حبوب الحلة كانت تلقي رواجاً وطلباً شديداً في أسواق المدن العراقية مثل بغداد والبصرة . فقد أحتلت الحبوب اهمية خاصة في صادرات الحلة لكنها كانت تواجه مشاكل ومعوقات عديدة من ابرزها وسائط النقل البدائية ورداءة طرق المواصلات البرية والصعوبات الملاحية في نهر الفرات[١].كما كان طابوق خرائب بابل من المواد المهمة التي دخلت مجال التجارة المربحة في الحلة، تلك التجارة التي لم تكن وليدة القرن التاسع عشر فحسب، وانما نشطت قبل حوالي أثني عشر قرناً من ذلك التاريخ[٢]، وكان مجال الاستفادة من هذا الطابوق لم يقتصر على المناطق المحلية في الحلة وحدها فقط ولكن نقل قسم منه الى مدن اخرى كبغداد والنجف وكربلاء حيث تم استخدامها في مختلف الاغراض العمرانية[٣].ولازمت تجارة طابوق آثار بابل تجارة اخرى هي المتاجرة بالقطع الاثرية، فكانت رائجة لقرب مدينة الحلة من آثار بابل القديمة، وكان تجار محليون يقومون بنقل الاثار وايصالها الى تجار ووسطاء آخرين في بغداد والبصرة وحلب[٤].ويبدو أن الارباح المغرية التي كانت تتحقق بفعل المتاجرة بالقطع الاثرية قد دفعت باعداد من سكان المدينة الى البحث والتنقيب في خرائب بابل لكنها كانت عمليات شاقة وصعبة بسبب ما تتطلبه من مهارة خاصة في العمل، وذلك للحفاظ على القيمة التأريخية والفنية للقطع المستخرجة فضلاً عن ما تحتاجه من أيد عاملة قد تصل الى عشرين عاملاً وأكثر[٥]. وغالباً ما يكون البيع الى الرحالة والزوار الذين هم على عجلة من سفرهم ولا تسمح لهم الظروف بالمكوث في المدينة سوى ايام قلائل ، فما ان يعلم التجار بمقدم احد من هؤلاء حتى يستضيفوه في بيوتهم لانتقاء ما عندهم من بضاعة في هذا المجال[٦].كانت عمليات الحفر والتنقيب تتم على مرأى من انظار سلطات المماليك في الحلة دون اجراءات رادعة شرط ان يدفع القائمون بذلك رسوماً وضرائب، ويقوموا بارشاء الموظفين، وذلك يشير بوضوح ان المماليك واسيادهم العثمانيين كانوا يسعون للحصول على المال بشتى الوسائل وان كان ذلك على حساب تراث الامم والشعوب الخاضعة لهم[١].وازدهرت في الحلة تجارة الماشية بيعاً وشراءاً[٢]. وتجارة العقارات ، بيع وشراء الاراضي الزراعية والبساتين والمقاهي والدكاكين ودور السكن[٣]، وفي بعض الاحيان كان يستعمل الذهب للتبادل التجاري بدلاً من النقود وذلك للحصول على مختلف المنتوجات الغذائية والدوائية لتغطية وسد الحاجة المحلية[٤].ان واردات الحلة لم تكن تختلف عن سواها في المناطق الاخرى، وبالرغم من أنتاجها الزراعي والحيواني ووجود بعض الصناعات الحرفية فيها، كانت تستورد بعض المواد والبضائع الضرورية التي لا تتوفر محلياً كالشاي والسكر والقهوة والتوابل، فضلاً عن منسوجات الاقمشة، وبعض الاحتياجات المنزلية الاخرى[٥].ساعدت الوظيفة التجارية على تطور مدينة الحلة ورخائها الاقتصادي فصار يقصدها التجار من كل مكان يساعدهم في ذلك موقع مدينة الحلة على نهر الفرات وتفضيلهم هذا الطريق على غيره[٦]. ومما تجدر الاشارة اليه ان ابناء الطوائف الدينية الاخرى كاليهود

---

[٣] بكنغهام، ج٢، ص٢٠٥؛ علي هادي عباس، المصدر السابق، ص٦٩.
[٤] محمد عصفور سلمان ، العراق في عهد مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص١٣١.
[١] لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص٢٢٦٩؛ جاسم محمد هادي القيسي، احوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣١-١٨٦٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص٨٠.
[٢] أوليفيه، المصدر السابق، ص١٤٦.
[٣] المصدر نفسه؛ بكنغهام، ، المصدر السابق، ج١، ص١٣٩.
[٤] ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٢١٥.
[٥] جيمس ريموند ولستيد، المصدر السابق، ص١٧٠.
[٦] عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٥٣، ج٢، ص٦٦.
[١] سر وليس بدج، المصدر السابق، ج١، ص١٣٤.
[٢] شيماء جسام عبد الدليمي، أحوال العراق الاقتصادية في عهد المماليك ١٧٥٠-١٨٣١، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠٠٠، ص٨٥.
[٣] مجموعة مخطوطات عثمانية وهي عقود بيع وشراء عقارات وبساتين للاعوام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م، ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م وهي محفوظة في مكتبة خليل ابراهيم نوري / الحلة.
[٤] شيماء جسام عبد الدليمي، المصدر السابق، ص٨٥.
[٥] رزوق عيسى، مختصر جغرافية العراق، بغداد، المطبعة السريانية، ١٩٢٤، ص١٣٧.
[٦] جاسم شعلان كريم الغزالي، الكفاءة الوظيفية للمحلات السكنية في مدينة الحلة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص١١.

والمسيحين كانت لهم دورهم في تجارة المدينة[٧].ومن الضروري ان نؤكد على الدور الذي لعبه الريف في الحياة الاقتصادية لمدينة الحلة، فقد كانت تحصل على المنتجات الزراعية والحيوانية كالقمح والشعير والفواكه والجلود والحطب وغير ذلك من القرى القريبة التابعة لها[١]. كذلك كان ابناء الريف يزودون القوافل التجارية بالجمال ووسائل النقل والمواد التي تدخل في التجارة كالصوف ووبر الجمال والطعام ولحم الضأن والزبد والجبن، وكان الريف يحصل بدوره على ما يحتاجه من سلع وبضائع مثل السكر والشاي والاقمشة والصوف والادوية والتوابل وغير ذلك[٢].وبسبب تحول منطقة الفرات الاوسط الى ساحة قتال في معظم الاوقات ادى الى الحاق الضرر بالتجار، اذ اضطرهم الى ترك طريق الفرات التجاري ما بين البصرة وبغداد واستبداله بطريق دجلة الذي هو اطول واكثر تكاليفاً[٣]. كما ان اسعار المواد الغذائية في الحلة ارتفعت احياناً مثلما حصل في عام ١٨٢١ عندما لجأت جموع من البغداديين الى الحلة بسبب اقتراب القوات الايرانية من بغداد[٤].ان النشاط التجاري في مدينة الحلة، ومنطقة الفرات، لم يكن حكراً على التجار العراقيين او العثمانيين، بل ساهم فيه الانكليز ايضاً، فمنذ نهاية عهد داود ازداد نشاط الانكليز لتأكيد فكرة صلاحية نهر الفرات للملاحة النهرية، وانه خير من طريق السويس من حيث قلة التكاليف وتوفير الزمن، اذ ان طريق الفرات يختصر عشرة ايام والسفن فيه تسير من ٥-٧ ايام في نهر على جانبيه حياة نشطة فتتمكن من التزود بالمؤن والوقود، اضف الى هذا ان طريق الخليج والفرات غير معرض لمثل تلك الاعاصير التي تهب على البحر الاحمر[٥].واجهت التجارة الحلية مشكلات كثيرة في عهد داود، فأضافة الى ما ذكرناه ، كانت المدينة تتعرض الى هجمات الرعاع الذين عاثوا بالمدينة فساداً كبيراً من قتل وسلب ونهب وتدمير ممتلكات المواطنين، كما ان ابناء الريف كانوا في خوف من الاعراب المنتشرة في الطرقات في ظل غياب السلطة[٦].ولتحول نهر الفرات من مجراه الاصلي (شط الحلة) الى مجرى جديد له وهو (شط الهندية)[١] اثر سيء على التجارة الحلية[٢]، وخاصة في حقب لاحقة لحقبة موضوعنا. كما ان لسلطة المماليك اثرها السيء على التجارة لفرضها ضرائب ورسوم متعددة التي تجبى على طريقة الالتزام السيئة، ومن هذه الرسوم والضرائب رسوم الكمارك وضريبة المرور وضريبة على الحوانيت والحانات والمنازل وغيرها[٣].وبرغم المعوقات التي ذكرناها على التجارة الحلية، لكن النشاط التجاري لمدينة الحلة كان افضل بكثير من تجارة معظم المدن العراقية الاخرى، وخاصة خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي.

ثانياً: الزراعة:: ومما لاشك فيه ان مدينة الحلة تعد قلب الفرات الاوسط المعروف بتربته الخصبة ومصادر مياهه الدائمة الوفيرة وهما العاملان الرئيسان وراء ازدهار الزراعة في المنطقة منذ اقدم الازمنة، وتذكر الدراسات ان سكانها اعتمدوا في الري والزراعة على الانهار التي تجلب المواد الغرينية مما زاد من خصوبة تربتها وتنوع المحاصيل فيها[٤].ولأهمية الحلة الزراعية التي تمثلت بوجود مساحات واسعة من الاراضي الزراعية ووفرة المراعي الخصبة، فضلاً عن وجود مصادر دائمة للمياه والتي تتمثل بشط الحلة وتفرعاته، فقد ساهمت في نمو ثروة حيوانية واسعة وكبيرة ايضاً[٥].

كان من اعمال داود باشا في لواء الحلة كري نهر النيل، وهذا ساهم في اتساع المنطقة الزراعية للحلة وتطور اقتصادياتها. ومدح احد الشعراء داود لكريه هذا النهر المهم بقصيدة ، منها هذا البيت:

دع نهر عيسى وحدثني عن النيل
وأجر الحديث بأجمال وتفصيل[١]

توصف الحلة في عهد داود بانها منطقة زراعية عامرة، لكن حقيقة الامر ان اقتصادياتها محدودة تعتمد على المنتجات الزراعية في الاعم الاغلب، كانت الزراعة تمارس بأساليب بدائية وطرائق بسيطة لا يمكن ان

---

[٧] احمد سوسة ومصطفى جواد، دليل خارطة بغداد المفصل، بغداد، ١٩٥٨، ص٢٢٣.
[١] شيماء جسام عبد الدليمي، المصدر السابق، ص٨٣.
[٢] عبد الكريم العلاق، بغداد القديمة ١٢٨٦هـ-١٣٣٥هـ/ ١٨٦٩-١٩١٧م، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٠، ص١٩.
[٣] لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٨٨٨؛ علاء موسى كاظن نورس، المصدر السابق، ص١٥٣.
[٤] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣٤.
[٥] عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٢١٦.
[٦] علي القسام، السفر الطيب في تاريخ مدينة المسيب، النجف الاشرف، مطبعة الاداب، ١٩٧٤، ص٢٧.
[١] شط الهندية نسبة الى آصف الدولة الهندي احد وزراء دولة أوذه الاسلامية في الهند (١٧٢٠-١٨٥٦)، قام في اواخر القرن الثامن عشر بمشروع لايصال الماء الى النجف الاشرف، وذلك بشق جدول من الضفة اليمنى لنهر الفرات جنوب المسيب فيجري باتجاه شط الكوفة القديم والذي عرف فيما بعد بشط الهندية. يراجع اسحق النقاش، شيعة العراق، ترجمة عبد الاله النعيمي، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٣، ص٣٨٥.
[٢] احمد سوسة، حياتي في نصف قرن، ص١١٣.
[٣] احمد علي الصوفي، المصدر السابق، ص ص٢١٤-٢١٥.
[٤] عبد الاله رزوقي كربل، خصائص التربة وتوزيعها الجغرافي في محافظة بابل، مجلة كلية الاداب، جامعة البصرة، العدد السادس، ١٩٧٢، ص١٢٠.
[٥] عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، ج١، ص١٩٩.
[١] يوسف كركوش، المصدر السابق، ج١، ص١٣٨.

تحصل منها الا على ما يسد الرمق من الحاصلات. وقد كان ذلك شيئاً طبيعياً بالنسبة لما كان يسود البلاد وحكوماتها من اهمال وتسيب[٢]، اذ كانت الطبقة المنتجة التي تفلح الارض وتزرعها، وهي العشائر غالباً، في حالة من الجهل والتأخر لا تسمح لها بتحسين اساليبها الزراعية او رفع مستوى الانتاج في اراضيها[٣].ولم تكن هناك حكومة تفكر في شؤونها الا بمقدار جباية الضرائب الباهضة منها وقمع ثوراتها المتكررة، او تأخذ بيدها وتعمل على تحسين احوالها المعاشية وغيرها[٤]. ولذلك بقيت الحلة محافظة على وضع اقتصادي متواضع، ينشط احياناً مستغلة موقعها المناسب وكونها وسيلة للتبادل التجاري[٥].كان الشيوخ مصدر قوة في الريف، والذين كانوا بصورة عامة حكاماً مستبدين ولم تكن للشيوخ حدود معروفة للاراضي التي يمتلكونها حيث ظلت القبائل في العراق تحت وطأة النظام العشائري شبه الاقطاعي ويحكمون من قبل شيوخ اقطاعيين. ولم يكن هناك نظام معين في تقسيم الارض التي يسيطر عليها الشيوخ فلقد كان يهب الارض لأتباعه ليقوموا بزراعتها له[٦].كان من أهم المنتجات الزراعية في لواء الحلة بشكل رئيس هي التمور والخضروات والشعير والحنطة، وسائر انواع الحبوب، والحمضيات باصنافها التي تزرع بالقرب من الانهار[١].منذ نهاية عهد داود اخذت المساحات الزراعية تتقلص لانخفاض مناسيب المياه في شط الحلة بسبب اتجاه نهر الفرات بقوة الى مجراه الجديد (شط الهندية)[٢]، يضاف الى ذلك هجرة كثير من العشائر القاطنة بالقرب من الحلة الى مناطق الهندية وكربلاء والنجف حيث وجود المياه الوفيرة والارض الصالحة للزراعة[٣].ويبدو واضحاً رغم المعوقات الكثيرة التي واجهت الزراعة، لكنها كانت العمود الفقري للاقتصاد الحلي.

ثالثاً: الصناعة المحلية:: ورث العراقيون من الاجيال السالفة صناعات يدوية قديمة كانت تسد قسماً كبيراً من الحاجة المحلية وتستغل بعض المواد الاولية وتستخدم الخبرة المحلية والايدي العاملة في الوقت الذي تعمل على سد جزء كبير من الحاجة المحلة بدلاً من استيرادها من الخارج[٤].كان داود باشا قد عرف باهتمامه بالصناعة حيث استدعى بعض الصناعيين من الدول الاوربية لادارة مصانع الجوخ (الاقمشة الشتوية) مما ساعد على ارتفاع الصناعة الوطنية حيث ادرك داود اهميتها في ازدهار البلاد، فضلاً عن اهميتها في تعزيز نهج الاستقلال عن السلطة العثمانية[٥].تشتهر الحلة بصناعاتها الشعبية، وفيها سوق معروف للصفارين تصنع فيه الاواني والاباريق ودلال القهوة وكل ادوات البيت. ولعل اهم الصناعات والحرف في الحلة هي صناعة البسط والسجاد والتطريز والفخار وصناعة الاسرة والمناجل والادوات الزراعية والدبس والخل[١]. وظهرت في الحلة اسر تمتهن مهن معينة أباً عن جد وبذلك كان تقسيم الاسواق حسب المهن، وسميت بعض الاسر نسبة الى مهنتها، ومن الاسواق سوق النحاسين، والصفارين، والدباغين، والحدادين، والوراقين والصاغة وغيرها[٢].ظلت معظم الصناعات العراقية صناعات قديمة ولم تعد كونها بقايا للصناعات الحانوتية والبيتية التي سبق وان كانت مزدهرة في عهد الدولة العربية العباسية، ولم تظهر الصناعات الحديثة في العراق الا في سنين متأخرة من القرن التاسع عشر على نطاق ضيق، وقد كان أغلب الانتاج الصناعي في العراق، في عصر بحثنا، يعتمد على النظام الحرفي القديم والالات البسيطة جداً التي كانت تدار بالايدي احياناً او بواسطة الحيوانات كالماشية والخيول في احيان اخرى، وكان يقتصر بيع منتجات الصناعة المحلية هذه كلياً تقريباً على الاستهلاك المحلي[٣].تعرضت الصناعة للانحطاط على اثر تعاقب الغزوات ومنها غزوات ال سعود وقيام العشائر العربية بالثورات ضد المماليك، اضافة الى ما تعرضت له المدينة من انتشار الاوبئة والامراض[٤]. وعلى الرغم من ان

---

(٢) سعاد هادي العمري، رحلة تيبور الى بغداد في القرن الثامن عشر، بغداد، ١٩٥٤، ص٦٤.
(٣) عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العراق أبان عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٦، ص٢٥٠.
(٤) نوري عبد الحميد خليل، تاريخ العراق قديماً وحديثاً، بغداد، ١٩٩٨، ص٢٣١.
(٥) جعفر الخياط، المصدر السابق، ج١، ص٢٥.
(٦) شيماء جسام عبد الدليمي، المصدر السابق، ص٢٤.
(١) اوليفيه، المصدر السابق، ص١٥٣.
(٢) جعفر الساكني، نافذة جديدة على الفراتين، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٣، ص٢٠.
(٣) احمد سوسة، وادي الفرات ومشروع سدة الهندية، ص٢٦٩.
(٤) عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، ج٢، ص٢٢.
(٥) سليمان فائق بك، تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، ص١٤٦.
(١) ميثم عبد الخضر جبار السويدي، المصدر السابق، ص٣٤.
(٢) مجموعة باحثين، حضارة العراق، ج١٠، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠، ص٨٠.
(٣) طارق نافع الحمداني، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩، ص١٤١.
(٤) جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٤، ص ص١٩٠-١٩١؛ علي عجيل منهل، انتفاضة عام ١٨٣٢ في العراق ضد العثمانيين، مجلة المورد، المجلد السابع، العدد ٢٤، ١٩٧٨، ص١٢٦.

الحكام المماليك في المدن العراقية، ومنها الحلة، لم يولوا النشاطات الاقتصادية بوجه عام اهتماماً كافياً الا انهم لم يعدموا من توجيه بعض العناية بها. إذ شرع بعض هؤلاء الحكام ببناء الطرق والخانات واهتم بعضهم بتشجيع الصناعة والتجارة[٥].ان من اهم اسباب تأخر الصناعة المباشرة هو معارضة الحكم العثماني لأي تقدم صناعي ، فلم يشهد العراق ثورة صناعية او أي تقدم ملموس حيث بقيت الصناعة في المدن العراقية من اكثر الانظمة الاقتصادية المحافظة على طرائقها وتنظيمها التقليدي في العمل. وهكذا ظلت الصناعة اليدوية القديمة التي تعتمد على النظام الحرفي والالات البسيطة التي تدار بالايدي احياناً او بواسطة الحيوانات، وكان ذلك الانتاج تقريباً للاستهلاك المحلي، ومن تلك الاعمال كانت اعمال الحياكة والخياطة والنجارة والخزف والفخار والزجاج والنسيج والصناعات الجلدية وغيرها[١].

الخاتمة

كانت الاحوال العامة في الحلة، في عهد داود، لا تختلف كثيراً عن أحوالها في عهد المماليك الذين حكموا منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى نهاية عهد داود مطلع العقد الرابع من القرن التاسع عشر، فالمجتمع الحلي بقي محافظاً على عاداته وتقاليده الموروثة برغم تعرضه الى ضغوط اجتماعية من أطراف عدة لتغيير ثقافته الاجتماعية، خاصة من العثمانيين والفرس، فلم يتأثر بأي دخيل أجنبي، بل العكس هو الصحيح، إذ أنصهرت المجموعات الاجنبية في بوتقة عروبة الحلة.ومعلوم أن المجتمع الحلي يتكون من أبناء الريف وأبناء المدينة، ولكل بيئته الاجتماعية الخاصة التي نجد فيها فوارق بين الجانبين، فالريف تتحكم فيه الاعراف العشائرية، أما المدينة ففيها ثقافات متعددة لكن أهمها التيار الاسلامي، اذ كان لرجال الدين تأثير كبير على الحليين.أما اقتصاديات المدينة فكانت جيدة بالقياس الى بقية مدن العراق، فكان موقع المدينة على نهر الفرات، ووفرة المياه والارض الخصبة، ووجود صناعة محلية متوارثة، مما ساعد على نمو التجارة الحلية، فأصبح التجار الحليون وسطاء بين البصرة وبغداد، ووصلت تجارتهم الى الهند شرقاً وأوربا غرباً، وكانت تجارتهم بمختلف المواد منها الزراعية والحيوانية والصناعية، وطابوق خرائب بابل وآثارها الثمينة وغيرها.الجانب السياسي كان واضحا من خلال عشرات المصادر التاريخية عن تلك المدة، فالمماليك ومنهم داود، عملوا على فرض الاستقرار بالقوة وجباية الضرائب، خاصة على القبائل الثائرة التي تأتي في مقدمتها قبائل الخزاعل وزبيد وعنزة وغيرها، وقد تطلب هذا حركات عسكرية مستمرة لقمع انتفاضات قبائل الفرات الاوسط، مما أدى الى عدم الاستقرار في المنطقة ومن ثم اثر سلباً على كل جوانب الحياة في الحلة، الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.نؤكد هنا أن المجتمع الحلي، والمجتمع العراقي بصورة عامة، كان مجتمعاً حياً ومتفاعلاً مع محيطه. لم يكن جامداً، أو كما تذكر بعض المصادر أنه عاش في حقبة مظلمة، ففي الجانب السياسي كان نشطاً من خلال ثورات عشائره المستمرة، وثورة اهل الحلة عام ١٨٢٤. وكذلك الحال في نشاطه التجاري، إذ أن التجار الحليين أحتلوا مكانة متميزة بين التجار العراقيين. أما في الفكر فكان لعلماء الحلة وشعرائها مكانة مرموقة بين مفكري العراق خلال مدة البحث.

ختاماً هذا البحث التاريخي عن الحلة هو ضمن سلسلة من البحوث عن المدينة ومحيطها لاظهار واقعها العام في العهد العثماني، والعهود اللاحقة، فأن اصبت فهذا ما كنت أتمنى، وأن كانت الاخرى فحسبي اجتهدت وتابعت وما توفيقي الا بالله العلي القدير.

المصادر

أولاً: الوثائق غير المنشورة

مجموعة وثائق عثمانية وهي عبارة عن عقود بيع وشراء عقارات وبساتين في الحلة للاعوام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م ، ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠، ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م وهي محفوظة في مكتبة خليل ابراهيم نوري/ الحلة.

ثانياً: المخطوطات

١. محمد حسن كاشف الغطاء، العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية، مخطوط، النجف، مؤسسة كاشف الغطاء.
٢. علي كاشف الغطاء، الحصون المنيعة في طبقات الشيعة، مخطوط، النجف، مكتبة كاشف الغطاء.
٣. محمود ابو خمرة، كنوز الماضي، مخطوط، مكتبة كلية التربية، جامعة بابل.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

١. أحمد عبد الصاحب الناجي، الحياة الاجتماعية في لواء الحلة خلال مرحلة الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الحرة في هولندا، ٢٠٠٨م.

[٥] طارق نافع الحمداني، المصدر السابق، ص١٤١.

[١] محمود شكري الالوسي، اخبار بغداد وما جاورها من البلاد، المورد، المجلد السابع، العدد ٢٤، ١٩٧٨، ص٢٦٧.

٢. جاسم حسين الصكر، الدور السياسي لشيخ العشيرة في العراق في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الحرة في هولندا، ٢٠٠٨م.
٣. جاسم شعلان كريم الغزالي، الكفاءة الوظيفية للمحلات السكنية في مدينة الحلة، رسالة ماجستير ، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٨٥م.
٤. جاسم محمد هادي القيسي، أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣١-١٨٦٩، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥م.
٥. سعد كاظم حسن، تاريخ النقود العراقية ١٩٢١-١٩٥٨، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٩٨م.
٦. شيماء جسام عبد الدليمي، أحوال العراق الاقتصادية في عهد المماليك ١٧٥٠-١٨٣١، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠٠٠م.
٧. عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العراق ابان عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.
٨. محمد حسن علي مجيد، الشعر في الحلة بين سنتي ١٨٢٤-١٩١٧، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٧م.
٩. محمد عصفور سلمان، العراق في عهد مدحت باشا ١٧٦٩-١٨٧٢، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.
١٠. ميثم عبد الخضر السويدي، سدة الهندية واثارها الاقتصادية على الحلة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٧م.

رابعاً: الكتب العربية والمعربة

١. ابراهيم فصيح الحيدري البغدادي، عنوان المجد في احوال بغداد والبصرة ونجد، القاهرة، مطبعة مدبولي، ١٩٩٩.
٢. ابو طالب محمد خان، رحلة ابي طالب خان الى العراق وأوربا سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٩م، ترجمة مصطفى جواد، بغداد، مطبعة الايمان، ١٩٦٩م.
٣. احمد رائف، الدولة السعودية فجر التكوين وآفاق الاسلام، القاهرة، الزهراء للاعلام العربي، ١٩٩٥م.
٤. احمد جودت، تاريخ جودت، استانبول، ١٣٠٢هـ.
٥. احمد سوسة، وادي الفرات ومشروع سدة الهندية، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٤٥م.
٦. _____، حياتي في نصف قرن، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦م.
٧. _____، تطور الري في العراق، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٤٦م.
٨. احمد سوسة ومصطفى جواد، دليل خارطة بغداد المفصل، بغداد، ١٩٥٨م.
٩. احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٢م.
١٠. احمد علي الصوفي، المماليك في العراق، الموصل، ١٩٥٢.
١١. احمد لطفي ، تاريخ لطفي، استانبول، ١٢٩٠هـ.
١٢. اسحق النقاش، شيعة العراق، ترجمة عبد الآله النعيمي، دمشق ، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٣م.
١٣. الفيروز آبادي، القاموس المحيط.
١٤. المنشيء البغدادي، رحلة المنشئ البغدادي، ترجمة عباس العزاوي، بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٤٨م.
١٥. أنور شاوؤل ، قصة حياتي في وادي الرافدين، القدس، مطبعة الشرق العربية، ١٩٨٠م.
١٦. باقر امين الورد، بغداد. خلفاؤها. ولاتها. ملوكها. رؤساؤها منذ تأسيسها عام ١٤٥هـ-٧٦٢م الى عام ١٤٠٤هـ-١٩١٤م، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
١٧. تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، ترجمة زينة جابر ادريس، بيروت، ٢٠٠٦م.
١٨. جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بيروت، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م.
١٩. جعفر الساكني، نافذة جديدة على الفراتين ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٣م.
٢٠. جميل ابراهيم حبيب، العشائر الزبيدية في العراق، بغداد، مطبعة الجاحظ، ١٩٩٠م.
٢١. جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١م.
٢٢. جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٤.
٢٣. جيمس بيكغهام، رحلتي الى العراق في سنة ١٨١٦م، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، دار البصري، ١٩٦٩م.
٢٤. جيمس ريموند ولستيد، رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٤م.
٢٥. حسن الحكيم، النجف الاشرف والحلة الفيحاء رحلات ثقافية عبر عصور التاريخ، النجف، مطبعة الغري الحديثة، ٢٠٠٦م.
٢٦. حسن الاسدي، ثورة النجف على الانكليز، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٧٥م.
٢٧. حسن بن فرحان المالكي، داعية وليس نبياً. قراءة نقدية لمذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير، عمان، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
٢٨. حنا بطاطو، العراق. الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ترجمة عفيف الرزاز، بيروت، مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٩٥.
٢٩. دونالد ولبر، ايران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد المنعم محمد حسنين وابراهيم امين الشواربي، القاهرة ، مكتبة مصر، ١٩٥٨م.
٣٠. رجاء حسين حسني الخطاب، العراق والصراع العثماني الفارسي، بغداد، شركة مطبعة الاديب المحدودة، ٢٠٠١م.
٣١. رزوق عيسى، مختصر جغرافية العراق، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٥٣م.
٣٢. رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٤١٣هـ.
٣٣. ستار نوري العبودي، المجتمع العراقي في سنوات الانتداب البريطاني، طهران ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ٢٠٠٧م.
٣٤. ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بيروت، دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٤٩م.
٣٥. سروليس بدج، رحلات الى العراق، ترجمة فؤاد جميل، بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٦٨م.
٣٦. سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة، بغداد، مطبعة المعرفة، ١٩٥٤.
٣٧. _____، رحلة نيبور الى بغداد في القرن الثامن عشر، بغداد، ١٩٥٤.

٣٨. سليمان فائق بك، تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد، ترجمة محمد نجيب ارمنازي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦١م.
٣٩. _____، تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٢م.
٤٠. شاهين مكاريوس، تاريخ ايران، القاهرة، دار الافاق العربية، ٢٠٠٣م.
٤١. صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨١م.
٤٢. طارق نافع الحمداني، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩م.
٤٣. عباس العزاوي، عشائر العراق، لندن، مكتبة الصفا والمروى، د.ت.
٤٤. _____، تاريخ العراق بين احتلالين، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٤١٠هـ.
٤٥. عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية، بيروت، مطابع دار لبنان، ١٩٧٢م.
٤٦. عبد الحسين مهدي عواد، الشيخ علي الشرقي حياته وأدبه، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.
٤٧. عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق. الجذورالفكرية والواقع التأريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.
٤٨. عبد الحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي، بغداد، مطبعة اسعد، ١٩٦٧م.
٤٩. عبد الرحمن السويدي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق صفاء خلوصي، بغداد، مطبعة الزعيم، ١٩٦٢م.
٥٠. عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧، بغداد، شركة الطبع والنشر الاهلية، ١٩٥٩م.
٥١. _____ ، معجم العراق، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٥٣.
٥٢. عبد الرضا عوض، اوراق حلية من الزمن الصعب في القرن العشرين، الحلة مكتبة الصادق، ٢٠٠٥م.
٥٣. عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.
٥٤. عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة ١٢٨٦-١٣٣٥هـ/ ١٨٦٩-١٩١٧م، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٠م.
٥٥. عثمان بن سند البصري الوائلي، مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود، اختصره امين بن حسن الحلواني المدني، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٧١هـ.
٥٦. علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١م، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥م.
٥٧. علي الخاقاني، شعراء الحلة او البابليات، النجف ، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٣م.
٥٨. علي القسام، السفر الطيب في تاريخ المسيب، النجف الاشرف، مطبعة الاداب، ١٩٧٤م.
٥٩. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بيروت، دار الراشد، ٢٠٠٥م.
٦٠. علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ بغداد، بغداد، ١٩٢٩م.
٦١. علي عوض الحلي، محاضرة الاديب ومسامرة الحبيب، النجف، دار الضياء، ٢٠٠٧م.
٦٢. علي هادي عباس المهداوي، الحلة كما وصفها السواح الاجانب في العصر الحديث، دراسة تاريخية تحليلية، الحلة، مكتبة الرياحين، ٢٠٠٥م.
٦٣. عماد احمد الجواهري، تاريخ مشكلة الاراضي في العراق. دراسة في التطورات العامة ١٩١٤-١٩٣٢، بغداد، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م.
٦٤. غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، لندن، دار السلام، ١٩٨٨م.
٦٥. فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨-١٩١٤، الموصل، مطابع الجمهور، ١٩٧٥م.
٦٦. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٥م.
٦٧. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب امير قطر، الدوحة، مطابع علي بن علي، ١٩٦٧م.
٦٨. متي عقراوي، العراق الحديث، ترجمة المؤلف ومجيد خدوري، بغداد، مطبعة العهد، ١٩٣٦م.
٦٩. مجموعة باحثين، حضارة العراق، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥ م.
٧٠. محمد المهدي بحر العلوم، الفوائد الرجالية، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، طهران، مكتبة الصادق، ١٣٦٣م.
٧١. محمد امين زكي، تاريخ السليمانية، ترجمة الملاّ احمد الروزبياني، بغداد، ١٩٥١م.
٧٢. محمد حمزة العذاري، تراجم شعراء العذاري، النجف، دار الضياء، ٢٠٠١م.
٧٣. محمد سعيد الراوي، تاريخ الاسر العلمية في بغداد ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٧م.
٧٤. محمد علي اليعقوبي، البابليات، النجف، المطبعة العلمية، ١٩٥٤م.
٧٥. محمد مهدي البصير، نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٤٦م.
٧٦. مصطفى الواعظ، الروض الازهر في تراجم آل سيد جعفر، الموصل، مطبعة الاتحاد، ١٩٤٨م.
٧٧. مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لأمارة عربستان ١٨٩٧-١٩٢٥، القاهرة، ١٩٧١م.
٧٨. موسيس ديرهاكوبيان، حالة العراق الصحية في نصف قرن، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨١م.
٧٩. ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، بيروت، منشورات اتحاد شعب الجزيرة العربية، د.ت.
٨٠. نوري عبد الحميد خليل، تاريخ العراق قديماً وحديثاً، بغداد، ١٩٩٨م.
٨١. نيبور، مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥م، ترجمة سعاد هادي العمري، بغداد، دار المعرفة، ١٩٥٥م.
٨٢. هارفارد جونز بريدجز، موجز التاريخ الوهابي، ترجمة عويصة بن مبيريك الجهني، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥م.
٨٣. وميض جمال عمر نظمي، ثورة العشرين، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، بغداد، المكتبة العالمية، ١٩٨٥.
٨٤. يعقوب سركيس، مباحث عراقية، بغداد، شركة التجارة للطباعة المحدودة، ١٩٤٨م.
٨٥. يونس الشيخ ابراهيم السامرائي، تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، بغداد، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ١٩٨٢م.

خامساً: الكتب الانكليزية

١. Abraham Parson, Travels in Asiz and Africa, London, ١٨٠٨.
٢. Froser, J. Ballie, Travels in Kaardistan , Mesobtamia, London, ١٨٤٠.
٣. Hurewitz, Diplomocy in The Near and Middle East, New York, ١٩٥٦.
٤. Mignan, Capt Robert, Travels in Chaldea, London, ١٨٥٧.

٥. Navel intelligence Division, Iraq and the Persion gulf, Oxford, ١٩٤٤.
٦. Sestini, Code Micien, Voyage De Constant in Ople A Bassara En ١٧٨١ Par Le Tigre Let L Euphrate, Paris, ١٨٩٨.
٧. Skinner. M., Ajourney Over Land To India , London, ١٨٦٣.
٨. Tayler, M. Voyage Dansl Inde, Autravers du grand , Desert, Paris, ١٨٦٨.

سادساً: الكتب الفارسية

١. أ. ك. س. لمبتون، ايران عصر قاجار، ترجمة الى الفارسية سيمين خصيحي، طهران، انتشارات جاودات، ١٣٧٥هـ.
٢. عبد الله رازي، تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسلة، مادتا عصر حاضر، طهران، ١٣٣٥هـ.

سابعاً: البحوث الاكاديمية

١. الاب فيليب الكرملي، الرحلة الشرقية، ترجمة بطرس حداد، مجلة المورد، المجلد، ١٨، العدد ٤، ١٩٨٩.
٢. عبد الاله رزوقي كربل، خصائص التربة وتوزيعها الجغرافي في محافظة بابل، مجلة كلية الاداب، جامعة البصرة، العدد السادس، ١٩٧٢.
٣. علي عجيل منهل، انتفاضة عام ١٨٣٢ في العراق ضد العثمانيين، مجلة المورد، المجلد السابع، العدد ٢٤، ١٩٧٨.
٤. فلاح حسن عبد الحسين، بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما أوردها الرحالة الاجانب، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد ٤، ١٩٨٩.
٥. كريم مطر حمزة، معاهدة ارضرورم الاولى ١٨٢٣ قراءة في الاسباب والنتائج، مجلة بابل للعلوم الانسانية، عدد خاص عن المؤتمر العلمي الاول لكلية التربية، جامعة بابل، ١٨-١٩ شباط ٢٠٠٧م.
٦. محمود شكري الالوسي، اخبار بغداد وما جاورها من البلاد ، مجلة المورد، المجلد السابع، العدد ٢٤، ١٩٧٨م.

Hilla in The Dawood Basha's Era ١٨١٧-١٨٣١ A Historical Study

Dr. Kareem Mutar Houmza

Summary

The public states in Hilla in the Dawood's era were not more different than its states in Al-Mamalee;'s era who ruled from the half of eighteenth century till the end of Dawood's era in the beginning of the third of the eighteenth century. Hilla society remained conservative on its inhented habits and traditions a thoughit received social influences from many sides to change its social culture , especially from Al-Othmaneen and Persian , yet it was not influenced by any foreign and social intrudent and the reverse is the correct in the sense that the fereign groups were merged into Arab Hilla.It is known that Hilla society consists of individuals of country side and individuals of city and each has its own social environment in which we can find differences between the two sides. The countryside is controlled by tribal traditions, while the city has many cultures but the most important is the Islamic current as the religious men have big effect on Hilla people.As for the economics of the city, it was good in compaeison with other cities in Iraq. The location of city on the Euphrates, the existence of water, the fertiled land and the existence of inherited industry , all these helped the growth of Hilla trade which result in that Hilla traders become mediators between Basrah and Baghdad so their trade reached India in the east and Europe in the west. Their trade included different materials such as agricultural, animal , industrial , the brick of Babylon and its expensive ruins, etc.The political side was clear through the tens of historical sources about this period. Al-Mamaleek, such as Dawood, their worry was the obligation of stability by force and the collection of taxes, especially of the rebel tribes in which Al-Khazael, Zubaid and E'niza etc. come in the beginning. This required continued military movements to restrain the tribes rebels of middle Euphrates which result in unstability in the region and this finally negatively influenced all the aspects of the life in Hilla, economic , social and mental.In this respect we emphasize that Hilla society and Iraqi society in general was live society and active with its environment, it is not liveless or as some sources mentioned that it lived in a dark period. In the political side, it was active through continued tribes revolutions or the revolution of Hilla people in ١٨٢٤. concerning the commercial activity, the Hilla traders occupied

distinctive prestige among Iraqi traders. As for thought, Hilla scientists and poets had distinctive prestige among Iraqi thinkers during the research period.Finally this historical research about Hilla is one of series of researches about the city and its environment to indicate its general reality in the Othman era and the subsequent eras. If I correct, this is what I wish. If another, I did my best and followed and my success is just by God, the highest and the most able.